

شيخ الأبطح

أو

أبو طالب

السيد محمد علي شرف الدين

قدّم له

سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين

دار الأرقم

صور - لبنان

- كلمة الناشر
- صورة المؤلف
- المقدمة للشيخ شمس الدين
- مقدمة المؤلف
- اسمه .. لقبه .. وكنيته .. ونسبه
- مولده ونشأته
- مقامه في قريش وفي أنحاء جزيرة العرب
- حياته العائلية
- مهماته وآماله
- إسلامه .. السرّ في كتمه .. منزلته عند الله تعالى
- مكاتبه الأدبية
- تاريخ وفاته
- النبي (ص) يؤبن أبا طالب (ع)
- تشريع صلاة الأموات بعد موت أبي طالب (ع)
- يوم أبي طالب (ع)
- ليس للنبي (ص) مقام في مكة بعد أبي طالب (ع)
- رأي العالم الإسلامي في إسلام أبي طالب (ع)
- سر التشكيك في إسلامه أو تاريخ تولد النزاع فيه
- نظرة فيما تمسك به المكفرة
- كلمة الختام
- الكتاب والكاتب
- تقرّظ الملك يحيى إمام اليمن
- تقرّظ بقلم العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم
- المؤلف في سطور
- رأيك تقود الجماهير

■ مع السيد محمد علي شرف الدين

■ الحرف لك لمن بحكمك

■ تاريخ وفاة الفقيه

■ وفجر العمر كان هو العصر

■ خطوة تطأ النجم

■ يا صريع الفكر

بسم الله

## كلمة الناشر

منذ ثمانية وخمسين عاماً، وكتاب (شيخ الأبطح) نقرأه مرجعاً وحيداً من مؤلفات هذا العصر في شأن أبي طالب، إذ اعتمده كل من كتب في أبي طالب إلى جانب الأمهات من المصادر التاريخية. أما الكتاب نفسه، فقد نفذ منذ صدوره وترجم إلى اللغة الأوردية أكثر اللغات الهندية انتشاراً لما لاقاه من تقدير لرصانة البحث وعمق الفكر ودقة النظر.

رأينا إعادة طبع الكتاب، وقوفاً مع مؤلفه فيما رمى إليه بشأن أبي طالب، بسبب النقطة المحور ابنه الإمام علي (عليه السلام) الذي لا يزال يشغل كل باحث في الإسلام، ولا يزال يدور حوله ومن شايعوه عصف رياح.

ونعيد طبعه أيضاً تقديماً لنمط فكري عاملي، كان المقدر أن يكون له أثر في دنيانا العملية، لولا أن تخطفه الأقدار من عوالمنا ثم إن الكتاب أثر عاملي يقتضي أن يأخذ موقعه من المكتبة العملية والمكتبة الإسلامية ومكانه من الإطلاع والبحث، وكم هم الذين مروا في جبلنا العاملي، وعفت الرياح على بصماتهم، ولم نع إلا ونحن نكاد نعتقد تاريخنا الفكري أو الأدبي، كما نعيش في الظلال الباهتة من تاريخنا السياسي.

(دار الأرقم) إذ تعيد طبع هذا الكتاب، مع بعض مما قيل فيه وبعض مما قيل في مؤلفه في ذكرى وفاته، تأخذ على عاتقها متابعة الآثار مخطوطة أو منشورة، والله من وراء القصد.

الناشر

١٤٠٧ هـ (١٩٧٨ م)

## المقدمة

لسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين

نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

يمثل أبو طالب (رحمه الله) إحدى نقاط الخلاف الكلامي التاريخي بين المسلمين، ففيما تذهب طائفة منهم إلى أنه عاش كافراً ومات كافراً، تذهب طائفة أخرى إلى أنه عاش جانباً من حياته حنيفياً وعاش بقية حياته منذ عرف الإسلام على يد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن مات مسلماً مضحياً مجاهداً، بما يتجاوز تضحية وجهاد أكثر المسلمين جهاداً وتضحية في عهده.

نقول: والمسلمون، من قال منهم بكفره، ومن ذهب منهم إلى إسلامه وغيرهم، مجمعون على حقيقة تاريخية لا يرقى إليها الشك هي أنّ أبا طالب وضع كل ثقله العائلي والاجتماعي في خدمة رسول الله بما هو صاحب دعوة ومبشر بفكرة، أثارت نزاعاً خطيراً أو خصومات حادة في مجتمع مكة ومن ثم في مجتمع شبه الجزيرة العربية كلها، لا بما هو ابن أخيه فقط.

هذا النزاع الكلامي التاريخي بين المسلمين في شأن أبي طالب يكتسي أهمية سياسية حيث ندرسه على ضوء الصراع السياسي الذي نشب بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعاظم واستحكم في العهد الأموي، بين نهجين في فهم الإسلام وتطبيقه: النهج الرسالي الذي مثله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبنوه، والنهج الآخر الذي مثله الأمويون في دولتهم.

هذا الخلاف يعالجه المقدس السيد محمد علي شرف الدين أحد أنجال الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين (رحمة الله عليهما) في كتابه (شيخ الأبطح) الذي ألفه قبل ما يزيد على ثلاث وخمسين سنة.

وهو يعالجه بأسلوب شمولي مستوعب وموضوعي يختلف كثيراً عن الأسلوب الذي كان سائداً في جيله وفي محيطه الثقافي في النجف الأشرف الذي كان يعتمد على نقل النصوص وإعادة تصنيفها دون اغتناء بتحليلها وتفسير خلفياتها، ومن هنا فهذا الكتاب يعتبر متقدماً بالنسبة إلى ما كان عليه الحال في أمثال هذه الدراسات التاريخية قبل ما يزيد على نصف قرن.

هذا إضافة إلى ظاهرة يلاحظها القارئ في هذا الكتاب، وهي ما يمكن أن نطلق عليه (الإنضباط العاطفي) ففي أمثال هذه الموضوعات التي تتصل بعلم الكلام والتاريخ والسياسة يتعرض الكاتب لإثارة عاطفية قد

تبعده عن الموضوعية الصارمة، وهو ما تجد أنّ السيد شرف الدين الابن قد نجح في تفاديه والتغلب عليه إلى حدّ كبير في هذا الكتاب.

ليست بي حاجة إلى الإفاضة في التنويه بجوانب الشخصية العلمية والريادية عند المرحوم السيد محمد علي شرف الدين، فإنّ القارئ الذي لا يعرف الكثير عن هذه الأسرة وموقعها يستطيع أن يستنير بالنبذة التاريخية عن المرحوم المؤلف التي وضعتها لجنة الإحتفال بتكريم ذكراه، ولكن ما ينبغي التركيز عليه هو الإشادة بالنبوغ الفكري الذي يجعل شاباً لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ينجز في غمار حياته الدراسية ونشاطه الذي تشير إلى ملامحه النبذة التاريخية عن حياته، مثل هذه الدراسة التي تجاوزت معطيات محيطها ، كما أشرنا.

لن أفيض في نقل مضامين الكتاب في هذه المقدمة ولكن أشعر أنّ عليّ أن ألفت نظر القارئ إلى المفارقة التي تجعل العصبية السياسية من أبي سفيان مسلماً صالحاً ومن أبي طالب كافراً، ونتساءل بعيداً عن النصوص وروايات التاريخ وتحليلها، كيف نستطيع الحكم على هوية إنسان؟ في تقديرنا أنّ هوية الإنسان تظهر من خلال ثلاثة أنواع من الممارسة الحياتية:

١ - طريقة حياته الشخصية.

٢ - شبكة علاقاته الإجتماعية وطريقة استخدامها.

٣ - تصريحاته العلنية التي صدرت عنه دون خوف ودون رغبة.

وبهذا المقياس، إذا درسنا حياة أبي طالب فس نجد أنّه كفل رسول الله بما يتجاوز حذب الجد على الحفيد، حتى بعد أن بعث رسول الله بالإسلام.

ونجد أنّ أبا طالب الزعيم البارز في قريش الذي تعامله قريش باحترام لم ينشأ عن القوة ولا عن الغنى، وإنما نشأ عن فضائله الخلقية ومنزلة بيته الهاشمي، يتمتع بشبكة علاقات إجتماعية وسياسية في المجتمع المكي والعربي، وقد ضحى في سبيل حماية محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما هو نبي بجميع علاقاته السياسية والإجتماعية إلى حد أنّ مجتمعه الذي كان يدين له بالطاعة والإحترام قد نبذه وحصره في الشعب.

ونجد لأبي طالب في التاريخ والأدب العربيين شعراً وثوراً يصرح فيهما بتصديقه بالإسلام واعترافه بنبوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . ولو فرضنا أنّ تسعين بالمائة من هذه النصوص الشعرية والنثرية

المنسوبة إلى أبي طالب موضوعة في عصر متأخر نتيجة للصراع السياسي، وكانت العشرة الباقية من المائة دليلاً قاطعاً على الجزم بإسلامه وبأنه من أفضل المسلمين إسلاماً وجهاداً وتضحية.

نضع أمام هذه الصورة الحياة الشخصية لأبي سفيان وشبكة العلاقات الإجتماعية والسياسية لأبي سفيان، وطريقة استخدامها لها في الحروب التي خاضها وأجج نارها ضد الإسلام، وفيما ثبت في التاريخ من تصريحاته، وفيما نعلم أنه لم يعلن إسلامه إلا بعد اليأس المطلق من قدرة الجاهلية على الوقوف في وجه دين الله ونتساءل:

أي فكر موضوعي يسمح للباحث أن يجعل من أبي سفيان مسلماً صالحاً، ومن أبي طالب كافراً.

إنّ هذا الكتاب (شيخ الأبطح) يفصل عناصر الأساس الفكري التاريخي لهذه القضية ويضيء الخلفية السياسية لها.

إنّ المبادرة التي قامت بها (دار الأرقم) في إعادة نشر هذا التراث مبادرة تستحق التتويه، ولا يفوتني هنا أن أذكر مقارنة لطيفة وهي أنّ أبا طالب (رحمه الله) ينتمي في تاريخه إلى المرحلة التي كان الإسلام ينطلق من دار الأرقم.

بيروت ١٤٠٢ هـ -

محمد مهدي شمس الدين

## مقدمة

أو

## إهداء الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين.

كان العرب وغير العرب يسировن على مناهج شتى، وأطوار مختلفة في شؤون معاشهم وأديانهم وآدابهم وأخلاقهم، حسب اختلاف بيناتهم، فكانت ترى في جزيرة العرب - ودع عنك ما سواها - صنوفاً من المعاملات وأنواعاً من الأنكحة مستهجنة وغير مستهجنة، وضروباً من قبائح العادات ومناح من المعتقدات، فمن كتابي - يهودي ونصراني - إلى وثني، إلى صابني، إلى مجوسي، ذلك ما كان شائعاً ثمة من المعتقدات.

ولما نطق الحق - محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) - وصدع بما أمر به مبشراً ونذيراً، قلب هذه المناهج رأساً على عقب وغير مناحي الأمم والشعوب ووحد صفوف العرب، معتقداً وأخلاقاً. بيد أن ذلك بعد المتاعب والمشاق واجتياز كل عقبة كأداء بفضل الحجج البالغة والبراهين الدامغة، مشفوعة بحدود الصفايح، وأسنة الرماح، فكان بعد ذلك لصرخة صارخ الدين دوي قوي، ونباً عظيم في أنحاء الكرة، ولذا ساد الخوف واستولى الهلع والرعب على أفئدة الجبابرة في ممالك الأرض، نعم، ذلك لهيبة الحق وسر النبوة وعناية الله تعالى في تأييد دينه.

ومن هنا كان النصر حليف (الخلفاء) من عبده (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان بريد الظفر يسعى بين أيديهم، وعن يمينهم وشمالهم، فباسم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) افتتحت ممالك الأكاسرة و القياصيرة، وباسمه (صلى الله عليه وآله وسلم) تطوع في جيش الإسلام جماهير الأمم المختلفة، فأخلصوا في العمل موحدين، وبدينه تكون للعرب ملكهم العظيم من حدود الهند إلى البحر الاتلانتيني - شرقاً وغرباً - ومن سواحل البحر الأحمر إلى سواحل بحر قزوين - شمالاً وجنوباً - في سرعة لم يحك التاريخ مثلها في الفتوحات، واكتساح الممالك الشاسعة، ومن المقرر تاريخياً أنه ما تم لمحمد (صلى الله عليه



وآله وسلم) ذلك النجاح الباهر ولا الظهور على العرب وهم أولو العزة والقوة والعدد والعدة، وما تسنى له جمعهم تحت لواء النبوة خاضعين، ولا أذلاء صاغرين، إلا بجهود عمه أبي طالب (عليه السلام).  
أجل، وما استغل العرب هذا الملك العقيم، إلا من حقول تلك الجهود، فأبو طالب هو وحده الذي أخذ على عاتقه نصره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مهما كلفه الأمر، وهو وحده الذي شجعه على نشر مبادئه يوم لم يكن له ناصر ولا معين، وهو الذي فتق له من المضيق طرقاً واسعة للسعي وراء تأييدها، وهو الذي كلف نفسه أقصى ما يتصور في تكليف المرء نفسه في الدفاع عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو الذي بذل كل نفيس ورخيص في سبيل دعوته، وهو الذي بذل كل نفيس ورخيص في سبيل دعوته، وهو الذي بذل كل نفيس ورخيص في سبيل دعوته، وهو الذي قيضه الله تعالى لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلم به كلمته، ذلك كله بشاهد نظرة واحدة في أي كتاب ترتضيه من سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

إذاً، فأبو طالب هو المساعد الأول في وضع الأحجار الأولى في بناء هذا الدين القويم، وهو صاحب الفضل الأول بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في إقامة هذا الصرح العظيم، وعليه فأبو طالب حقيق بأن يكون في الدرجة الأولى من أبطال التاريخ وأقطابه.

إذاً، فلماذا لم نجد في محررات المؤرخين - عفا الله عنهم - تحت عنوانه سوى كلمات لا تتجاوز الأسطر في ترجمة حاله؟؟؟ ولماذا ما عناهم من أمره ما عناهم من أمر غيره ممن هو دونه ودونه بدرجات نسباً وحسباً وشخصية وآثاراً؟؟؟ ويمكنك أن تقف على سر إعراضهم عن هذا الأمر فيما بعد إن شاء الله تعالى. كثيراً ما كان يخطر في البال ان أكتب في هذا الموضوع، موضوع ترجمة أبي طالب، وفي دفع ما علق في أذهان البعض من الشبه في حقه، ذلك عندما أرى ما لهذا المجاهد الأول من الحقوق على الإسلام عامة، وعلى نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخصوص، وما زالت هذه الفكرة تتجسم في نظري كلما سمعت وقرأت أن بعض إخواننا من المسلمين ما زالوا ولا يزالون يذكرون على المنابر في خطبتي العيدين والجمعة عمي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حمزة والعباس كما يجب، ولا يأتون على ذكر أبي طالب أصلاً، حتى كأن الله لم يخلقه عندهم(1) على حين أنه هو صاحب الفضل على الجميع وهو أولى الدعامين اللتين قام عليهما بناء هذا الدين.

ولولا أبو طالب وابنه \*\*\* لما مثل الدين شخصاً فقاما

وللعمل بالفكرة، وأداء لواجب حق المجاهد، وتكريماً لمقامه السامي أولف كتابي هذا، وإلى كل من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أرفعه هدية بكلتا يدي خاضعاً

ضارعاً لقدسِي مقامهما وعظمته، ومن الله أستمد المعونة وأرجو القبول، وأسأله تعالى أن يكون عملي  
هذا خالصاً لوجهه الكريم، نصرة للحقيقة وذوداً عن حياض الحق وهو حسبي.

الهوامش:

(١) قال صاحب العرفان الأغر في حاشية العدد الأول من المجلد التاسع عشر ص ٦٠ (أليس من أفظع  
الظلم أن يقال على المنبر اللهم ارض عن عمي نبيك حمزة والعباس ويترك أبو طالب) .

## إسمه ولقبه وكنيته ونسبه

إسمه عبد مناف، وقيل عمران، وقيل شيبية، وألقابه كثيرة - منها - شيخ الأبطح، وسيد البطحاء، ورئيس مكة، وكنيته أبو طالب، وبها اشتهر، فهو أبو طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

لا يختلف النسابون في نسبه إلى عدنان، ويختلفون فيما فوق ذلك اختلافاً كثيراً، فبينما نرى أحدهم يعدد بين عدنان وبين إسماعيل (عليه السلام) أربعة آباء، وإذا بالآخر يعد لنا بينهما سبعة آباء، وثالث يجعل بينهما أربعين أباً، وهلم فاسمع اختلافهم في الأسماء، يقول بعضهم عدنان بن أد، ويقول آخر عدنان بن مديع، وثالث يقول عدنان بن أد. وهكذا تجد الاختلاف صاعداً في سلسلة آبائه حتى تنتهي إلى إسماعيل. كذا رأينا الإختلاف زيادة ونقيصة في العدد، والتغاير في الأسماء، ولم نر ما يصح عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في تأييد أحد الأقوال، ولذا وقفنا على عدنان، ولم نتجاوزه في نسب أبي طالب، والذي نستريح إليه جداً في الوقوف على عدنان، هو ما يرويه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس، من أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا انتسب يقف على عدنان ولا يتجاوزه، ويقول كذب النسابون قال الله تعالى: "وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا" (١).

ففي وقوف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على عدنان مع استشهاده بالآية الكريمة حكمة بالغة في إظهار كذب النسابين، مضافاً إلى تصريحه بالطعن فيهم، ولعل سلوك هذا المنحى في تكذيبهم كان مما لا بد منه لمقتضيات مقامية في ذلك الوقت كما لا يخفى.

كان من اللازم أن نشير إلى شيء من ترجمة آبائه، بيد أنه لمرعاة الإختصار وللاقتصار على الموضوع، أضربنا عن ذلك، وعلى أي حال فدونك كتب التاريخ، فهم أقطابه وعلى مآثرهم تدور الخلائق، ومن سنا أنوارهم تستمد النور.

علماء أئمة حكماء \*\*\* يهتدي النجم باتباع هداها

الهوامش:

(١) الفرقان: ٣٨.

## مولده ونشأته

ولد في أم البلاد العربية ، البلد الأمين - مكة - قبل ولادة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بخمس وثلاثين سنة، الموافق لسنة ٥٣٥ ميلادية ونشأ في حجر والده عبدالمطلب وتخرج على يده. هنا يلزمنا أن نتعرف بوالد المترجم، ونعرفه للقراء باختصار، فإن ذلك يساعدنا على تصور نشأته - ان شية الحمد، (عبد المطلب) من عرفه التاريخ باستعداده الفطري، وعلمه وحلمه وحكمته، وحدثنا عن بروز شخصيته في قريش وسيادته فيها سيادة مطلقة فقال: كان عبدالمطلب مفزع قريش في النوائب، وملجأها في الأمور، فهو حكيم قريش وحليمها وحاكمها وشريفها وسيدها كمالاً وفعالاً غير مدافع، ولقد أفصح التاريخ أيضاً عن بلوغه الغاية في الحكمة وصفاء النفس، ولذا توصل إلى رفض عبادة الأصنام، فوحد الله سبحانه وتعالى، وأنت ترى أثر صفاء نفسه عندما تتلو ما أثر عنه من سن السنن التي نزل القرآن بأكثرها، وجاءت السنّة بها جمعاء - منها - الوفاء بالندى، وقطع يد السارق، والمنع من نكاح المحارم، والنهي عن قتل المؤودة، وتحريم الخمر والزنا، وحظر طواف العراة في بيت الله الحرام. ويظهر لنا من كلماته المأثورة، أنه كان يؤمن بالبعث، الأمر الذي يرشدنا إلى أن عبدالمطلب وصل إلى أبعد نقطة في العلم والمعرفة، وكثيراً ما كان يلقي على أولاده دروساً قيمة، ويأمرهم بالعمل بها - منها - ما يعود إلى مكارم الأخلاق، والتحذير من مغبة الظلم وسوء منقلبه، والنهي عن دنياات الأمور، إلى آخر ما هنالك (١).

وإذاً فخليق بأبي طالب - ذلك الذي درج في حجر رياسة والده، وتآدب على يده، وتخرّج من كلية ديوانه الحافل بأنواع الدروس والتعاليم، أخلاقية وسياسية - أن يكون المثل الأعلى في نشأته من حيث الطموح، إلى رقيعات المراتب، والتأهب إلى مستوى فوق مستوى قومه، ويجدر به أن يخلف أباه في جميع مزاياه في حكمته وتوجيهه، في منابذته لخرافات قريش الإعتقادية وغيرها

وليس المجد مكتسباً ولكن \*\*\* على أعراقها تجري الجياد

الهوامش:

(١) ترى زيادة على ما ذكرناه عن عبد المطلب في السيرة الحلبية ج ١ ص ٤ ط مصر وفي بلوغ الأرب

للألوسي ج ١ ص ٣٢٣ و ٣٢٤ من الطبعة الثانية .

## مقامه في قريش وفي أنحاء جزيرة العرب

لم يكن مقام أبي طالب في قريش بأقل من مقام والده فيهم، ولم تكن شخصية أبيه فيهم ، على ظهورها بأظهر من شخصيته، والذي يلوح لنا من السير والتاريخ أن أبا طالب ضارع أباه في حياته في السيادة والكمالات الروحية، ولذا كان شريك والده في كفالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولما توفي والده انفرد وحده في كفالته (صلى الله عليه وآله وسلم) (١) كما أنه انفرد بالزعامة المطلقة، على حين أنه كان لا مال له (٣). والمعلوم عن ذلك الوقت وغيره، أن المادة الوحيدة للزعامة بعد الاستعداد هي المال ليس إلا، غير أن أبا طالب بمواهبه واستعداده ومكارم أخلاقه ومقدرته، ملك نفوس قريش، وحل من قلوبهم محلاً علياً، وكان له فيهم المقام الكريم، والجاه العظيم، فانقادت له الأمور، واستوى على عرش الحكومة، وأقام صرح الرياسة على قاعدة الكفاءة فحسب بدون أن يدعمها بشيء من الفلز الذهبي، أو القطع المسكوكة، ذلك مقام أبي طالب في قريش.

ولا غرابة في أن يكون له في جزيرة العرب المقام الرفيع، والصيت البعيد، ذلك لمقامه في بلد كرمه الله تعالى، فجعل أفئدة من الناس تهوي إليه، وحجيج الخلائق يأوي لديه على كل ضامر من كل فج عميق، ولقيامه في ذلك الحين بما أوجبه على نفسه من ضيافة فقراء الوفود ومساكينهم وأبناء السبيل، حيث ينزلهم في دار رفاذته، ويرويهم ويروي الوفود كافة من سلسبيل سقايته، ولدى انقضاء أيام الموسم، يصدر الناس أشتاتاً إلى الأقطار عن جفان كالجواب وقذور راسيات، ولا شك في أن الجمع المتفرق في أنحاء الجزيرة عقيب تلك الأيادي التي هي طوق اليهودي كان يتلو سور حمده، ويرتل آيات الثناء في الحل والترحال، وفي كل كور وبلد.

هذا نموذج بعض محامده، وبه وبنحوه يمكنك أن تتصور منزلته ورفعة مقامه في جزيرة العرب - بذلك كله يعترف المؤرخون. يقول بلوغ الأرب ج ١ ص ٣٢٤ ط ٢: كان أبو طالب حاكم قريش وسيدها ومرجعها في الملمات، ويقول الحديدي في شرح النهج ج ٣ ص ٤٦١ ط مصر - نحو ذلك، وإن السقاية كانت له، وكذا في السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية ج ١ ص ١٧، وفي تاريخ الخميس ج ١ ص ١٧٧، والسيرة الدحلانية أيضاً ج ١ ص ١٦، أن الرفادة كانت له بعد أبيه، وكذا اعترف المؤرخون بتقدمه في كمال النفس، وناهيك ذلك أن سن القسامة (٢) في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة فأثبتتها السنة في الإسلام، وحرّم الخمر على نفسه فيها فجاء بذلك القرآن.

الهوامش:

(١) السيرة الحلبية ١: ١١٥ ط مصر.

(٢) شرح النهج الحديدي ٣: ٤٦١ مصر.

(٣) القسامة بالفتح هي الأيمان تقسم على أولياء القتيل إذا ادعوا الدم يقال قتل فلان بالقسامة إذا اجتمعت جماعة من أولياء القتيل فادعوا على رجل أنه قتل صاحبهم وكان معهم إمارة غير البينة فحلفوا خمسين يميناً أنّ المدعى عليه قتل صاحبهم، وهؤلاء الذين يقسمون على دعواهم يسمون قسامة أيضاً فهي مشترك لفظي في المعنيين، وقد جاء استحلاف المدعي هنا على خلاف سائر الدعوى للنصوص في خصوص المقام، وللقسامة فصل استوفي الكلام فيه في الفقه في أثناء كتاب القصاص.

## حياته العائلية

### ١ - زوجته:

هي فاطمة بنت أسد بن هاشم، تجتمع في سلسلة النسب مع أبي طالب في هاشم، ولم يذكر التاريخ له من الزوجات سواها.

(حليتها) كانت فاطمة بنت أسد من فضليات الهاشميات، بزغت في عصرها شمساً في سماء الكمال تنتقل في أبراجه.

شرف حسب، فكرم محتد، فمكارم أخلاق، فذكاء قلب، فرجاحة حجب. فطهارة نفس، فجمال ذات، ففضيلة صفات، تلك حلية هذه السيدة الجليلة ولذا اختارها سيد قريش ولم يستبدل بها سواها مدة حياته.

ولنذكر مفتتح حياته السعيدة معها - تقول نسخة الخطبة - قال أبو طالب : (الحمد لله رب العالمين، ربّ العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم الذي اصطفانا أعلاماً وسادة، وعرفاء خالصاً وقادة، وحجية بهاليل، أطهاراً من الحنا والريب، والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفضلنا على العشائر، نخب إبراهيم وصفوته، وزرع إسماعيل، وقد تزوجت فاطمة بنت أسد، وسقت المهر، وأنفذت الأمر، فاسألوه واشهدوا)، فقال أسد: زوجناك ورضينا بك.

وأولم أبو طالب سبعة أيام متوالية ينحر فيها الجزر، وفي ذلك يقول أمية بن السلط:

أغمرنا عرس أبي طالب \*\*\* وكان عرساً لين الجانب

إقراؤه الضيف بأقطارها \*\*\* من رجل خف ومن راكب

فنازلوه سبعة أحصيت \*\*\* أيامها للرجل الحاسب

أغفل أهل السير والمؤرخون الكثير من أحوال هذه السيدة، ولم يذكروا لنا غير اليسير منها، ونحن أداء لحقها الواجب، وإماماً بأطراف الموضوع من جميع الجهات، نذكر من أحوالها ما استفدناه من بطون دفاتر شتى، ورشحات محابر عديدة.

أسلمت فاطمة بنت أسد بعد عشرة من المسلمين، فكانت الحادية عشرة، فهي من السابقات إلى الإسلام، ولما أنزل الله سبحانه وتعالى "يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ" (١) الآية، دعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) النساء إلى البيعة فكانت هي أول امرأة بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

وبقيت بعد أبي طالب، فهاجرت إلى المدينة جليلاً في المؤمنات، مقدرة صالحة تقية، يزورها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقبل في بيتها، وقد حضرت بدمراً في قطار حرم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)،

ثم مرضت فأوصت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقبل وصيتها، وتوفيت في السنة الرابعة من الهجرة في المدينة، فصلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليها، وتولى دفنها بنفسه، وألبسها قميصه، واضطجع في قبرها، وتمرغ به، وبكى قائلاً: جزاك الله من أم خير، لقد كنت خير أم فقال له بعض الحسدة: يا رسول الله، ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت مع هذه المرأة، فقال: إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها، إني إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها في قبرها، ليهون عليها ضغط القبر.

## ٢ - عقبه:

أعقب طالباً وعقيلاً وجعفرأً وعلياً (عليه السلام) ، وهو أصغرهم سناً، وكان بينه وبين جعفر عشر سنين، وهكذا كان بين جعفر وعقيل وعقيل وطالب، ومن الإناث أم هاني، والكل من السيدة الجليلة فاطمة بنت أسد.

## ٣ - كفالاته للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

من نعم الله تعالى على هذه العائلة، ومن مننه على هذا البيت - بيت أبي طالب - أن أضاف إلى عائلة أبي طالب إنسان الهداية، وصاحب شرف العرب، النبي العربي (٢) ذلك لما توفي جدّه عبد المطلب، وكان ذلك حوالي سنة ٥٧٨ ميلادية، وعمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ ذاك ثمان سنين، فانفرد أبو طالب في كفالاته (صلى الله عليه وآله وسلم)، وضمه إلى كنفه وأحلّه محلاً علياً من قلبه، وأصغى إليه بوداده، وقدمه في سائر الشؤون على كافة أولاده (٣).

وكذا كانت تصنع معه (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة بنت أسد، تخصصه بكل اعتناء، وتفضله بالحباء، وتحنو عليه بأفضل ما تحنو والدته على ولد، فنشأ (صلى الله عليه وآله وسلم) بين هذه العائلة في حجري أبي طالب وبنت أسد، وشب في ذلك البيت الرفيع العماد، الذي سبق بعنايته تعالى أن يخرج منه الهدى والنور للعالم بأسره، فبأله من بيت شرف الله تعالى مقامه، واقم دعامة وأجل شأنه، وفضله على بيوتات العالمين، وما أطيب نشره، وأنمى غرسه! منه عبق طيب النبوة، فعطر المشرق والمغرب، وفيه نما غرس الوصاية، وبه أكمل الله الدين وأتم النعمة.

فلك أبا طالب سعادة الأبد، في ابن أخيك نبي العالم، وعظيم بني آدم، ولك الغبطة في أهلك وولدك، أبطال السيف والقلم، وأقطاب رحى العلم والحكم، فأنت بما أوتيت من هذه السعادة جدير بأن يخلد ذكرك ما خلد الدهر، وما هتف باسم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما تلا قرآنه قانون الأبد، وتبيان كل شيء.



الهوامش:

(١) الممتحنة: ١٢.

(٢) و(٣) تستفيد ما بين هاتين الرادتين من مجموع كتب عديدة وهي، الإصابة ٤: ٣٨٠ ط ١ في مصر،

والإستيعاب ٢: ٧٧٤ ط ١ في حيدر آباد دكن، وشرح النهج الحديدي ١: ٥ ط دار الكتب العربية الكبرى

في مصر، وفصول ابن الصباغ: ١٥ ط سنة ١٣٠٣ في طهران، وتاريخ الخميس ١: ٥٢٦ سنة

١٣٩٢، ومقاتل الطالبين: ٤ ط سنة ١٣٠٧ في طهران.

## مهمّاته وآماله

نذكر من مهمّاته أهمّها ذكراً، وأجلّها منفعة لبني الإنسان وأعظمها قدراً. كانت مهمته الوحيدة، حينما انفرد بكفالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) العناية التامة بخدماته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والقيام بواجبها أحسن قيام، على حسب ما تقتضيه عقود عمره (صلى الله عليه وآله وسلم)، ذلك لما آتس منه الإستعداد الذي امتاز به عن سائر البشر، ولما تفرس به مخائل سيادة العالم.

### العقد الأول:

عني في تربيته الجسدية جداً، كما يظهر لنا من السير، وفي ذلك العقد ظهر من مواهب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ما بهر شيوخ الحنكة، وأدهش فلاسفة العالم، ولذا كانت آمال أبي طالب تزداد فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً فشيئاً، الأمر الذي كان من شأنه أن يستأنف نشاطه في النهوض بمهمات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والقيام بخدماته.

### العقد الثاني:

لما بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الثانية عشرة من سنّي عمره، سار به أبو طالب إلى الشام (١) ليوقفه على أحوال الأمم المختلفة، والأقطار النائية المغايرة لإقليم قطره، تلك أصول التربية والتعليم، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن كان في غنية عن هذا بما آتاه الله من فضله، غير أنّ أبا طالب أراد القيام بواجب التربية.

إنّ في سفر كمثل هذا السفر، لمثل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) العلم الكثير، والفوائد الجمّة، معرفة أحوال قرى ومدن، ومواقع جغرافية، ومختلفات سير أمم وشعوب، وإطلاع على عادات ومعتقدات، ومحور سياسة ملوك، وميول رعايا، واستكشاف آثار أمم ماضية، وقرون خالية، وهذا ونحوه مدعاة للإستبصار والنظر والإمعان بالفكر.

في ذلك السفر الميمون فتحت في وجه أبي طالب الآمال الجسام، ذلك بما سمعه من الرهبان أمثال بحيرا، مما سيكون لابن أخيه من الشأن والعظمة، في الأرض والسماء، وبما شاهده بأَم عينه مما حصل لابن أخيه (صلى الله عليه وآله وسلم) من خوارق العادات، نظير تظليل الغمام له، وبهذا تحقق ما كان يسمعه قبل ذلك من أبيه عبدالمطلب في شأنه (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولما بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الرابعة عشرة أحضره أبو طالب معه في حرب فجار  
البراض (٢)، وهي حرب هاجت بين كنانة وبين قيس، فعاونت قريش كنانة، ذلك لريه كيف تكون منزلة  
الأقران ومقارعة الفرسان.

### العقد الثالث:

لما بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الخامسة والعشرين، كان همّ أبي طالب الوحيد جعله مستقلاً في  
الإدارة، وطفق يرتأي ويفكر في إيجاد ثروة له (صلى الله عليه وآله وسلم) تصلح لإدارة شؤونه، ليكون  
مكفول المؤونة في المعاش، فبتفرغ (صلى الله عليه وآله وسلم) للسعي وراء ما كان يتوسمه به أبو  
طالب من سيادة العالم بتقلده للوسام الإلهي، وضروي أنّ الثروة أعظم معين في النوائب، وعند ملاقاته  
الشدائد والأهوال.

بعد النظر العميق رأى أنّ أحسن شيء لما يحاوله وأقربه إنتاجاً، أن يوجد صلة تجارية، ومشاركة في  
الأرباح بين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين خديجة بنت خويلد سيدة القرشيات في عصرها حسباً  
ونسباً وهدياً وكمالاً ومالاً وجمالاً ذات الثراء والخول والإماء، والتجارة الواسعة في ذلك المحيط، وكان  
نظر أبي طالب في ذلك وجلّ قصده انتقال ابن أخيه (صلى الله عليه وآله وسلم) مع خديجة من الصلة  
التجارية إلى الصلات الروحية، فتكون خديجة وما ملكت يدها في قبضته (صلى الله عليه وآله وسلم)، لما  
يعلمه يقيناً من أنّ السيدة الجليلة، سوف يشغل فراغ قلبها حب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بما تراه  
منه مضافاً إلى ما تسمعه عنه في المعاشرة والمعاملة من كمال ذاته، ترى يمن طلعة، وغرة جبين،  
وصدق حديث، وسجاجة أخلاق، وسماحة نفس، وعز عشيرة، وطيب سريرة، وحسن سمعة، وجميل  
أحدوثه، ووفور حجي، وقدس ذات، وتفرد صفات.

تلك نظرية أبي طالب، فلم يرد أن يكون مثل ابن أخيه (صلى الله عليه وآله وسلم) خاطباً، بل أراد أن  
يكون مخطوباً، ولذا أعد الأسباب لتزويجه وثرانه في آن واحد، وأتى الأمور من أبوابها في مهماته له  
(صلى الله عليه وآله وسلم) شأن الوالد الشفيع الساهر على مصلحة ولده.

ولم يذكر أبو طالب لابن أخيه الصادق الأمين ما مر بخاطره وما فكر فيه وما دبر، وإنّما جاءه بطريق آخر  
هو عين الواقع على ما تقتضيه الحكمة والرزانة.

يقول في السيرة الحلبية ١: ١٣٢: إنّ أبا طالب قال للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يا ابن أخي: أنا  
رجل لا مال لي، وقد اشتد الزمان في القحط، وألحت علينا سنون منكرة - شديدة الجذب - وليس لنا مادة

ولا تجارة، وهذه إبل قومك قد حضر وقت خروجها إلى الشام للتجارة، وهذه خديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في إبلها فيتجرون لها، ويصيبون منافع، فلو جنتها لذلك لأسرعت إليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك، وإن كنت لأكره أن تأتي الشام، وأخاف عليك من يهود، ولكن لا تجد لك من ذلك بدءاً، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلعلها ترسل إليّ في ذلك، فقال أبو طالب إنّي أخاف أن تولّي هذا العمل غيرك فتطلب أمراً مدبراً، فافترقا فبلغ خديجة خبر ما دار بينهما فقالت: ما علمت أنه يريد هذا، ثم أرسلت إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت إنني دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجالاً من قومك، فقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولقي عمّه أبا طالب - فذكر له ذلك، فقال: إن هذا لرزق ساقه الله إليك، فخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتجارة إلى الشام ومعه عبد لخديجة اسمه ميسرة، ولما بلغ (صلى الله عليه وآله وسلم) بصرى باع السلعة التي خرج بها، فربح ومن معه ربحاً ما ربح التجارة قط مثله بيمين طلعتة (صلى الله عليه وآله وسلم)، وشاهد ميسرة أموراً حصلت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هي من خوارق العادات، لا يكون مثلها إلا لمن خصه الله بالعناية التامة، وفوق ذلك سمع من الرهبان في طريقه التبشير بنبوته (صلى الله عليه وآله وسلم)، فحدث ميسرة خديجة بذلك كله، وكانت خديجة رأت بأم عينها بعض ما حدث به ميسرة، الأمر الذي سجل صدق حديث ميسرة، وبهذا تم لأبي طالب ما دبر، حيث وقعت هذه السيدة الجليلة بهوى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذا أضحت حائرة بين عاملين قويين، دافع ومانع، يدفعها الشوق المبرح لعرض نفسها على صاحب الفضيلة، ويمنعها الحياء من أن تخطب لنفسها حتى إذا سنمت المقام والحالة هذه، ورأت أن مثل ابن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخطب ولا يتحاشى من خطبته، بالرغم عن معاكسة العادات والمراسم، ومر بخاطرها أن في الهيبة الخيبة، وفي الحياء الحرمان، ولذا أفضت بسرّها لإحدى صديقاتها، وكانت تثق بها، وصديقتها هذه نفيسة بنت منية، قالت لها يا نفيسة: هل لك أن تستعملي لي خفية حال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فلعله يرغب في مثلي؟ فقالت نفيسة حباً وكرامة، وتحملت نفيسة هذه الرسالة بنصح فجاءته (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يمنعك أن تتزوج؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) ما بيدي ما أتزوج به، فقالت فإن كفيتك ذلك ودعوتك إلى المال والجمال والشرف والكفاية ألا تحب؟ قال: فمن هي؟ قالت: خديجة . قال: وكيف لي بذلك؟ قالت: بلى! وأنا أفعل، فرجعت نفيسة ميمونة النقيبة في هذه الرسالة، تحمل شرف الأبد لخديجة، فأرسلت خديجة تعين له (صلى الله عليه وآله وسلم) الساعة التي يأتي فيها للخطبة

وأرسلت لذوي رحمها فأحضرتهم، وجاء رسول الله مع جمع من أعمامه وفيهم سيدهم أبو طالب وهو الذي زوجه.

فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل وضئضىء معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعله لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا حكام الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يوازن به رجل إلا رجع به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، وعارية مسترجعة، وله والله بعد هذا نبأ عظيم، وخطر جليل، وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وأجله اثنا عشر أوقية (٤) ونشا.

فقال ورقة بن نوفل: وأنتم والله أهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلكم، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، رغبتنا في الإتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا عليّ معاشر قريش أنني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله وذكر المهر، فقال أبو طالب أحببت أن يشركك عمها، فقال عمها عمر بن أسد، اشهدوا عليّ معاشر قريش أنني أنكحت محمد بن عبدالله خديجة بنت خويلد، فأولم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحر الإبل وأطعم الناس، ففرح أبو طالب الفرح الشديدة، وقال (٥): الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب، ودفع عنا الغوم، وكذا بقي أبو طالب بقية العقد الثالث وحتى أواخر العقد الرابع من سني عمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معتبلاً به (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبما سافه الله إليه من الخير الكثير، بزواج سيدة القرشيات، ومن باب:

وإذا استطل الشيء قام بنفسه \*\*\* وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً

لم نتعرض لشيء من أحوال هذه السيدة الجليلة التي لها الأيدي البيض على الإسلام، على أن في ذلك خروجاً عن الموضوع أيضاً.

كان أبو طالب يزداد سروراً كلما ازدادت منزلة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في نفوس قريش، غير أنه بفارغ الصبر كان ينتظر يوماً يعطى به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الوسام الإلهي، يوماً يهبط عليه الناموس الأكبر من لدن جبار السموات والأرض ويعقد على ذلك اليوم وما بعده الآمال الجسام ليقوم بواجب خدمته، ويفوز بالسهم الأوفر من نصرته، ولما كانت السنة الأخيرة من - العقد الرابع - تلك سنة أربعين من سني عمره (صلى الله عليه وآله وسلم) أكرمه الله بالرسالة في حراء بواسطة السفير جبريل، حيث ناداه يا محمد: أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الأمة، ثم تتابع عليه الوحي.

العقد الخامس:

عندما أمر الله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بإظهار دعوته، وذلك في السنة الرابعة من البعثة قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمه العباس - كما في غاية السؤول عن إبراهيم الحنبلبي بأسانيد عديدة -: إنَّ الله تعالى أمرني بإظهار أمري، فما عندك؟ فقال له العباس: يا ابن أخي، تعلم أنَّ قريشاً أشدَّ حسداً لوالدك، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطماء، والداهية العظمى، ورمينا عن قوس واحد، لكن قرب إلى عمك أبي طالب فإنَّه أكبر أعمامك، إن لا ينصرک لا يخذلك ولا يسلمك، فأتياه فلما رأهما أبو طالب قال: ما جاء بكما في هذا الوقت؟ فأخبره العباس بالحال، فنظر إليه أبو طالب وقال: يا ابن أخي إنَّك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلى أباً، والله لا يسلفك لسان إلا سلفته أسن جداد، واحتدمته سيوف حداد، والله لتذلن لك العرب، ولقد كان أبي يقرأ الكتب جميعاً، ولقد قال إنَّ من صلبني لنبياً لوددت أني أدركت ذلك فأمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به، الخبر.

وقد ذكر عند تفسير "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" (٦) أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما قام ليدعو أسرته عارضه أبو لهب كما هو مذكور في السير جمعا فقال أبو طالب: اسكت يا أعور! ما أنت وهذا؟ ثم قال للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قم يا سيدي وتكلم بما تحب، وبلغ رسالة ربك فإنَّك الصادق الصديق.

حينما أظهر الدعوة (صلى الله عليه وآله وسلم) وسفَّه أحلام قريش في عاداتها ومعتقداتها، رمته قريش عن قوس واحد، وأخذوا يجتمعون ويتفرقون للنظر والرأي في إقناعه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرجوع عن سبيل الهدى، وعملوا لذلك أعمالاً ذكرها التاريخ - منها - سعيهم إلى دار أبي طالب مراراً في طلب إسكاته (صلى الله عليه وآله وسلم) عن تعقيب ما نطق به، وكان أبو طالب إذ ذاك يردهم حسبما تقتضيه الحكمة من شدة ولين، وبذلك علموا أنَّ أبا طالب سيمنع محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) منهم بكل قواه ما دام فيه عرق ينبض، وهالهم ما رأوه من دهانه في ترويج دعوته (صلى الله عليه وآله وسلم) من حيث يخفي بما أوتي من المواهب وما مر عليه من التجارب في معترك هذه الحياة. تحقَّقوا ذلك كله بما شاهدوه منه في مختلفات الجلسات، وسمعوه عنه في شتى الآنات، فتارة يأمر ابنه جعفر بالصلاة حيث رأى محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي وإلى جانبه علي (عليه السلام) فيقول لجعفر: صل جناح ابن عمك - كما أخرجه الحافظ ابن حجر في (الإصابة ٧: ١١٢ ط مصر سنة ١٣٢٥) وأخرى يقول لأخيه حمزة حينما أسلم:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد \*\*\* وكن مظهراً للدين وفقت صابراً

وثالثة يخاطب محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد مجيء القوم بصدد الإستعانة به على إسكاته (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أمر الدعوة فيقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم \*\*\* حتى أوسد في التراب دفيناً

إلى غير ذلك مما يطول تعداده، لذلك كله اشتد الأمر واحتدم، وتوترت العلائق بين أبي طالب والقرشيين العتاة، فأخذوا يؤذونه بإيذاء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بكل طريق، وحين ظهر الإسلام في القبائل كبر ذلك على قريش فتضاعف أذاهم، واشتوروا فيما بينهم على قتل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) علانية، ولذا جمع أبو طالب بني هاشم وبني المطلب وأمرهم أن يدخلوا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الشعب، ليكون بذلك أمنع من جهة الأسد، وحين رأت قريش ذلك أجمع رأيهم على أن يكتبوا عهداً بتوقيع الجميع على أن لا يجالسا بني هاشم والمطلب، وأن يضيقوا عليهم بمنعهم من حضور الأسواق وأن لا يبياعوهم ولا يناكحوهم ولا يقبلوا لهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكتبوا هذه المعاهدة ووقع القوم عليها وعلقوها في الكعبة، فمكت بنو هاشم في حصار الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين، فأصابتهم ضائقة في العيش شديدة، وقد أبلى أبو طالب (عليه السلام) وخديجة (عليها السلام) البلاء الحسن في تهنية المئون والأقوات الضرورية، مدة الحصار كلها، ولما أراد الله أن يكشف الغم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن أسرته المرابطة المجاهدة بين يديه، حيث لا ناصر سواهم ولا معين، سلط على معاهدة قريش الأرضة فأكلتها، وأوحى الله إلى رسوله بالأمر فأخبر عمه أبا طالب، فأقبل أبو طالب على قريش وهم في أبديتهم وأخبرهم بما صنع الله في صحيفتهم، وأن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبره بذلك، ثم قال: إن كان الحديث كما يقول ابن أخي فأفيقوا، وإن لم ترجعوا فوالله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا، فقالوا قد رضينا بما تقول، ثم فتحوا الصحيفة فوجدوا الأمر كما أخبر به الصادق الأمين، وعندما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب قوال هذا سحر ابن أخيك، وزادهم ذلك بغياً وعتواً وعدواناً، فقال لهم أبو طالب: علام نحبس ونحصر وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة والإساءة؟ ثم دخل يمين أستار الكعبة ودخل معه بنو هاشم قائلين: اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا، ثم انصرفوا إلى الشعب.

قال ابن الأثير في الكامل ٢: ٣٦: قال أبو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة

رحم أبياتاً منها:

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة \*\*\* متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محا الله منها كفرهم وعقوقهم \*\*\* وما نقموا من ناطق الحق معرب

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً \*\*\* ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب

وأنذ مشى في نقض الصحيفة - المعاهدة - نفر من قريش وهم هشام بن عمرو بن الحرث، وزهير بن أمية ابن عمه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عاتكة، والمطعم بن عدي، وأبو البخترى بن هشام، وزمعة بن الأسود، وتم لهم ذلك بالرغم عن معاطس أبي جهل وأضرابه الذين أصروا على استمرار قريش في المقاطعة لبني هاشم والمطلب وارتفعت الشدة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذوي رحمته، فعادوا إلى ما كانوا عليه قبل الحصار، كما هو مذكور في التفصيل في السير والتاريخ فراجع.

إن من مواقف أبي طالب الرهيبة في إرهاب قريش، وكبح جماحهم، وقمع شوكتهم، وإرجاعهم بالقواسر الفعالة والقوة، عما كان يخلج في أفئدتهم من أن إلى آخر، من اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ما نقله عبدالرحمن بن محمد ابن الجوزي المحدث البغدادي عن الواقدي (٧)، قال: قال الواقدي: كان أبو طالب لا يغيب صباح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومساءه، وكان يحرسه من أعدائه، ويخاف أن يغتالوه، فلما كان ذات يوم فقدته فلم يره، وجاء المساء فلم يره، وأصبح فطلبه في مظانه فلم يجده، فجمع ولده وعبيده ومن يلزمه في نفسه، فقال: إن محمداً فقد في أمسنا ويومنا هذا، ولا أظن إلا أن قريشاً اغتالته وكادته، وقد طلبته فلم أجده، وقد بقي هذا الوجه ما جنته وبعيد أن يكون فيه، ثم أعطاهم السكاكين وفيهم من عبيده عشرون رجلاً، ثم قال لهم ليمض كل رجل منكم، ليجلس إلى جنب سيد من سادات قريش، فمضوا وشحنوا سكاكينهم، ومضى أبو طالب في الوجه الذي أراده ومعه رهط من قومه وهو يقول: يا لها من عظيمة إن لم نواف محمداً، فوجده في أسفل مكة قائماً يصلي إلى جانب صخرة، فوقع عليه أبو طالب يقبله وأخذ بيده، وقال: يا ابن أخي، سر معي فأخذ بيده وجاء إلى المسجد، وقريش في ناديهم جلوس عند الكعبة فلما رأوه قد جاء ويده في يد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قالوا هذا أبو طالب قد جاءكم بمحمد وإن له لشأناً، فلما وقف عليهم والغضب يعرف في وجهه، قال لغلمانه: أبرزوا ما بأيديكم، فأبرز كل واحد منهم ما في يده، فلما رأوا السكاكين قالوا، ما هذا يا أبا طالب، قال: هو ما ترونه إنني طلبت محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) فما رأيته منذ يومين، فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنتكم، فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون وقلت لهم: إن جنت وما محمد معي فليضرب كل واحد منكم صاحبه الذي إلى جنبه، ولو كان هاشمياً، فقالوا: وهل كنت فاعلاً؟ قال: إي ورب الكعبة، فقال له المطعم



بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وكان من أحلافه: لقد كدت أن تأتي على قومك قال: هو ذاك، فاتقت قريش اغتياله (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ ذلك اليوم، ورجعت على أبي طالب بالإستعطاف، وهو لا يحفل بهم ومضى وهو يقول:

إذهب بني فما عليك مخافة \*\*\* وابشر بذاك وقر منك عيوناً

ومن ذلك ما ورد عن الأصبع بن نباتة عن علي (عليه السلام) قال: قال علي (عليه السلام) : مر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً، فلم يسلم عليهم فلما انتهى إلى دار الندوة، قالوا يمر علينا يتيم أبي طالب ولم يسلم، فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه فقال عبدالله بن الزبير: أنا أفعل فأخذ من فرث الجزور ودمه وانتهى به إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ساجد فألقاه عليه فملاً به ثيابه فانصرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أتى عمه أبا طالب فقال: يا عم، من أنا؟ فقال: ولم يا ابن أخي؟ فقص عليه القصة، فقال: وأين تركتهم؟ فقال: في الأبطح، فنادى في قومه يا آل عبدالمطلب ، يا آل هاشم، يا آل عبد مناف، فاقبلوا عليه من كل مكان مليبين، فقال: وأين خذوا سلاحكم وأخذ سيفه، ثم توجه نحو القوم فلما رأوه وقد سل سيفه جعلوا ينهضون، فقال: والله لنن أحد جللته بسيفي ثم قال: يا محمد أيهم أذاك؟ فأشار بيده (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ابن الزبير، فدعا به أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماها، ثم أمر حمزة بأن يأتيه بفرث ودم، فأمرهما على رؤوس الملائم ثم قال : يا ابن أخي أرضيت؟ قد سألت من أنت؟ أنت محمد بن عبدالله، وذكر النسب ثم قال: أنت والله أشرفهم حسباً، وأرفعهم منصباً، يا معشر قريش: من شاء منكم أن يتحرك فليفعل أنا الذي تعرفونني وأنشأ يقول ويومئ بيده إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

أنت النبي محمد \*\*\* قرم أعر مسود (٨)

لمسودين أكارم \*\*\* طابوا وطاب المولد

نعم الأرومة أصلها \*\*\* عمرو الحطيم الأوحد

هشم الربيقة في الجفا \*\*\* ن وعيش مكة أنكد

فجرت بذلك سنة \*\*\* فيها الخبيزة تثرد

ولنا السقاية للحجيج \*\*\* بها يمات العنجد

والمأزمان وما حوت \*\*\* عرفاتها والمسجد

أنى تضام ولم أمت \*\*\* وأنا الشجاع العريد

وبطاح مكة لا يرى \*\*\* فيها نجيع أسود

وبنو أبيك كأنهم \*\*\* أسد العرين توقد

ولقد عهدتك صادقاً \*\*\* في القول لا تتزيد

ما زلت تنطق بالصواب \*\*\* وأنت طفل أمرد

ولقد سطر التاريخ لأبي طالب ذبه ودفاعه عن مستضعفي المسلمين، وذكر غضبه الشديد عند إيذاء قريش لهم، وروى أشعاره في ذلك.

يقول محمد بن إسحق في كتاب المغازي إنّ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، لما وثب عليه قومه ليعذّبوه ويفتنوه عن الإسلام، هرب منهم، فاستجار بأبي طالب وقد كانت والدته أبي طالب مخزومية فأجاره، فمشى إليه رجال من بني مخزوم وقالوا: يا أبا طالب هبك منعت منا ابن أخيك محمداً ما بالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال: إنه استجار بي وهو ابن أختي وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي، فأكثروا النزاع وارتفع الصوت واللغط فخافوا الفتنة فانصرفوا.

ويقول مجمع التواريخ: إنّ قريشاً لما رأّت ضعفها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لنصرة أبي طالب له، أخذ يعذب كل قوم من عندهم من المؤمنين، ويحثونهم على الرجوع عن دينهم وأبو طالب يناجز قريشاً على ذلك.

وهاك أبياتاً قالها أبو طالب وقد غضب لعثمان بن مظعون لما ظلمه المشركون:

أمن تذكر دهر غير مأمون \*\*\* أصبحت مكتنّباً تبكي لمحزون (٩)

أمن تذكر أقوام ذوي سفه \*\*\* يغشون بالظلم من يدعى إلى الدين

لا ينتهون عن الفحشاء ما أمروا \*\*\* والغدر فيهم سبيل غير مأمون

ألا يرون - أذلّ الله جمعهم - \*\*\* إنا غضبنا لعثمان بن مظعون

إذ يلطمون ولا يخشون مقلته \*\*\* طعنأ دراكأ وضربأ غير موهون

فسوف نجزيهم إن لم نمت عجلأ \*\*\* كيلاً بكيل جزاء غير مغبون

أو ينتهون عن الأمر الذي وقفوا \*\*\* فيه ويرضون منا بعد بالدون

ونمنع الضيم من يبغي مضامتنا \*\*\* بكل مطرد في الكف مسنون

ومرهفات كأنّ الملح خالطها \*\*\* يشفى بها الداء من هام المجانين

حتى تقرّ رجال لا حلوم لها \*\*\* بعد الصعوبة بالإسماح واللين

أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب\*\*\* على نبي كموسى أو كذي النون

يأتي بأمر جلي غير ذي عوج \*\*\* كما تبين في آيات ياسين

الهوامش:

(١) طبقات ابن سعد ١: ٧٦.

(٢) السيرة الحلبية ١: ١٢٧ ط مصر.

(٣) السيرة الحلبية ١: ١٣٧.

(٤) المستفاد من السيرة الحلبية: ١٥٤ ط مصر سنة ١٣٢٩ من كون الدرهم معياراً لوزنه الاوقية

أربعون درهماً والنشا نصف الأوقية أي عشرون درهماً، وكان ذلك المسمى من الذهب فيكون جملة

الصداق خمسمائة درهم شرعياً وذلك يساوي ١٧٥ ليرة عثمانية تقريباً في عصرنا هذا.

وأما المستفاد من كلمات الفقهاء: أن الخمسمائة درهم هي نقد فضي كان شائع الوجود في ذلك العصر،

وهي على هذا التقدير لا تزيد على ٥٠ ديناراً تساوي خمساً وعشرين ليرة ذهباً تقريباً .

(٥) السيرة الحلبية ١: ١٢٩.

(٦) الشعراء: ٢١٤.

(٧) وقد ذكر هذا الموقف المشهور بتعبير أخصر مما نتلوه هنا، كاتب الواقدي محمد بن سعد في الجزء

الأول من طبقاته الكبيرة: ١٣٥ ط ١ ليدن.

(٨) ذكر هذه الأبيات أيضاً الحديدي في شرح النهج ٣: ٣١٥.

(٩) ذكر الحديدي جملة منها في شرح النهج ٢: ٣١٣.

## إسلامه، السر في كتبه

منزلته عند الله تعالى:

علم أهل القبلة كافة أنّ أهل البيت (عليهم السلام) مجمعون على إسلام أبي طالب، وإجماع أهل البيت حجة بالغة وآية محكمة، فإنهم معصومون منزهون عن كل ريب بنص القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (١). على أنّ في شعر أبي طالب الدلالة الصريحة على إسلامه، وقد وقفت على جملة منه ومن نثره، وستقف على جمل أخرى تدعم ما قلناه غير أنّ أبا طالب تستر في إسلامه عن قريش لمصلحة الإسلام، وللقيام بخدمات سيد الأنام، ولو أنّ أبا طالب جاهر بمعتقده أمام عتاة قريش لهانت عليهم إهانتته، ولخفروا ذمامه في جميع أدواره مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولرموه عن قوس واحد، كما رموا محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد كانت له المنزلة السامية في نفوسهم قبل إظهار الدعوة، وهذا التستر من الضروريات الأولية لمثل أبي طالب، وهو الذي حنكه الدهر، وعلمته التجارب، وراضته سياسة العرب، وأفهمته من أين تؤكل الكتف، هذا هو السر في كتبه الإسلام وتظاهرة بحياطة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لصرف كونه ابن أخيه ليس إلا، وربما ظهرت لهم عقيدته، وتبينت على أسلوات لسانه في النظم والنشر، بنوع من الإجمال في موارد، ليبقى له في توجيه كلامه عند قريش مجال، ولم يكن هذا التكتّم والإبداء، إلا لما توحى إليه فطنته وتقتضيه حكمته، في متفرقات الأحوال بالنظر لمصلحة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

إنّ لأبي طالب المكان الرفيع والجاه العظيم ومقعد صدق عند مليك مقتدر، ولم ينل ذلك إلا بكفاءة واستحقاق، أهل لذلك هو أهل ومحل، لخدماته لقوة إيمانه وإسلامه، فإنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: إنّ أبي لو شفع في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله تعالى. ويقول الصادق جعفر (عليه السلام): إنّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وإليك ما ورد عن الباقرين الصادقين (عليهما السلام): لو وضع إيمان أبي طالب في كفة وإيمان الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه ، كل ذلك بطرق صحاح معتبرة، وإنّ فإسلام أبي طالب على خلاف ما يظنه ذوو الأغراض والتعصب الممقوت، أو الأغنياء المقلدون لمن سلف ممن استخدمتهم السياسة الأموية واستهواهم زبرجها رداً من الدهر وللکلام صلة قبيل تزييف شبه المشككة في إسلامه على ما سيمر عليك قريباً إن شاء الله تعالى.

الهوامش:

(١) الأحزاب: ٣٣.

## مكانته الأدبية

### ١ - صناعتا النظم والنثر:

قد وقفت على شيء من نظمه ونثره، وسنوقفك على جمل أخرى في محلها - إن شاء الله تعالى - مما اتفق عليه مؤرخو الإسلام من الخاصة والعامة وثمة ترى أنّ له اليد الطولى والقدر المعلى في تينك الصناعتين، ترى عسجدية معنى ودرية نظم ورسالة شعر، فحسن سبك، وجودة حيك، فلفظ أسلوبك.

### ٢ - أخلاقه:

يمكننا أن نفهم أنّه كان على جانب عظيم من الأخلاق من مكانته العليا في قريش واجتماعهم على سيادته وسيطرته على أجسامهم وأفئدتهم، وهذا لا يكون إلا بمكارم الأخلاق "وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَيِّظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" (١)، وفوق ذلك قد ضرب لنا أبو طالب المثل الأعلى في مكارم الأخلاق ذلك بمتابعته ومبايعته على الموت لمن نشأ في بيته بمنزلة أحد ولده محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولم تأخذه العزة في النزول على حكم ابن أخيه في مطاردته في الليل والنهار في سبيل حيافته والمحافظة عليه، في امتثال أوامره ونواهيه حتى لفظ نفسه في النفس الأخير من حياته هذا وهو شيخ الأبطح وسيد قريش. إذن، فنقل بحق إنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم ير أكرم من أبي طالب أخلاقاً ولا أطلق وجهاً ولا أطيّب عنصراً ولا أحلى معاشره ولا أحمى جواراً ولا أحفظ ذماراً ولا أسخى كفاً، ولا أحمى أنفاً، ولا أعز جانباً ولا أصدق لهجة فسبحان من خلقه مثلاً في المكارم وسواه معدنا في المرامح.

### ٣ - شعره:

نحن إذا صرفنا النظر عما اختلف في نسبته إليه من المنظوم ففيما هو المتفق عليه كفاية فمن ذلك قوله:

خليلي ما أذني لأول عاذل ! بصفواء في حق ولا عند باطل(٢)  
خليلي إنّ الرأي ليس بشركة ولا نهنه عند الأمور البلايل  
ولما رأيت القوم لا ودّ عندهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل  
وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طاعوا أمر العدو المزائل  
وقد حالفوا قوماً علينا أظنهم يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل  
صبرت لهم نفسي بسمرء سمحة وأبيض غضب من تراث المقاول  
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي وأمسكت من أثوابه بالوسائل

لدى حيث يقضى خلفه كل ناقل	قياماً معاً مستقبلين رتاجه
علينا بسوء أو ملح بباطل	أعوذ بربّ الناس من كل طاعن
ومن ملحق في الدين ما لم نحاول	ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة
ولما نطاعن دونه ونناضل	كذبتم - وبيت الله - نبزى محمدا
ونذهل عن أبنائنا والحلائل	وننصره حتى نصرع دونه
من الطعن فعل الأتكب المتحامل	وحتى نرى ذا الردع يركب ردعه
نهوض الروايا من طريق جلاجل	وينهض قوم بالحديد إليكم
لنلتبسن أسيافنا بالأماثل	وإنا وبيت الله من جد جدنا
أخي ثقة عند الحفيظة باسل	بكل فتى مثل الشهاب سميدع
يحوط الذمار غير ذرب مواكل	وما ترك قوم - لا أبالك - سيدا
ثمال اليتامى عصمة للأرامل	وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
فهم عنده في نعمة وفواضل	يلوذ به الهلاك من آل هاشم
ووزان حق وزنه غير غائل	وميزان صدق لا بخيش شعيرة
لدينا ولا نعبا بقول الأباطل	ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب
وأحبيته حب الحبيب المواصل	لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد
ودافعت عنه بالذرى والكواهل	وجدت بنفسى دونه فحميته
وشيناً لما عادى وزين المحافل	فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها
وأظهر ديناً حقه غير باطل	وأيدّه ربّ العباد بنصره

ومنه قوله في أمر الصحيفة التي كتبتها قريش عهداً على مقاطعة بني هاشم:

لؤيّا وخصّاصاً من لؤيّ بني كعب(٣)	! ألا أبلغا عني على ذات بيننا
نبيّاً كموسى خط في أول الكتب(٤)	ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا
ولا حيف فيمن خصه الله بالحب	وأنّ عليه في العباد محبة
يكون لكم يوماً كراغية السقب	وأنّ الذي رقتم في كتابكم
ويصبح من لم يجن ذنباً كذي ذنب	أفيقوا، أفيقوا قبل أن يحفر الثرى

أواصرنا بعد المودة والقرب	ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا
أمرّ على من ذاقه حلب الحرب	وتستجلبوا حرباً عواناً وربما
لعزّاء(٥) من عضّ الزمان ولا كرب	فلسنا وربّ البيت نسلم أحمدا
وأيد اترت بالقساسية(٦) (الشهب	ولما تبين منا ومنكم سوائف
به والضباع العرج تعكف كالشرب	بمعترك ضنك ترى قصد القنا
وغمغمة الأبطال معركة الحرب	كأن مجال الخيل في حجراته
وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب؟	أليس أبونا هاشم شدّ أزره
ولا نستكي ما قد ينوب من النكب	ولسنا نمل الحرب حتى تملّنا
إذا طار أرواح الكماة من الرعب	ولكننا أهل الحفائظ والنهي

وقوله:

! حتى أوسد في التراب دفيناً(٧)	والله لن يصلوا إليك بجمعهم
وابشر بذاك وقرّ منك عيوناً	فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
ولقد صدقت وكنت ثمّ أميناً	ودعوتني وعلمت أنك صادق
من خير أديان البرية ديناً	ولقد علمت بأنّ دين محمد

وقوله:

! فعبد مناف سرها وصميمها(٨)	إذا جمعت يوماً قريش لمفخر
ففي هاشم أشرافها وقديمها	وإن حصلت أنساب عبد منافها
هو المصطفى من سرها وكريمها	وإن فخرت يوماً فإنّ محمداً
علينا فلم تظفر وطاشت حلومها	تداعت قريش غثها وسمينها
إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها	وكنا قديماً لا نقر ظلامه
ونضرب عن أحجارها من يرومها	ونحمي حماها كل يوم كريمة
بأكنافنا تندى وتنمى أرومها	بنا انتعش العود الذواء وإنما

وقوله يحرض أبا لهب على نصره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):



أبا عتبة إنَّ امرءاً أنتَ عمّه ! لفي معزل من أن يسام المظالم(٩)  
ولا تقبلن الدهر ما عشتَ خطة  
أقول له وأين منه نصيحتي  
تسب بها إمّا هبطت المواسم  
أبا عتبة ثبت سوادك قائماً  
وولّ سبيل العجز غيرك منهم  
فأتك لم تخلق على العجز لازماً  
وحارب فإنّ الحرب نصف ولن ترى  
أخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما  
كذبتم - وبيت الله - نبزى محمداً  
ولما تروا يوماً من الشعب قائماً

وقوله:

إنَّ علياً وجعفرأ ثقتي ! عند ملّم الزمان والنوب(١٠)  
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما  
والله لا أخذل النبي ولا  
أخي لأمي بينهم وأبي  
يخذه من بني ذو حسب

وقوله:

فلا تسفها أحلامكم في محمد ! ولا تتبعوا أمر الغواة الأشانم(١١)  
تمنيتوا أن تقتلوه وإنما  
وإنكم والله لا تقتلونه  
أمانيكم هذي كأحلام نانم  
زعمتم بأنا مسلمون محمداً  
من القوم مفضل أبيّ على العدى  
ولما تروا قطف اللحي والجماجم  
وإنكم والله لا تقتلونه  
زعمتم بأنا مسلمون محمداً  
من القوم مفضل أبيّ على العدى  
ولما نقاذف دونه ونزاحم  
تمكن في الفرعين من آل هاشم  
بخاتم ربّ قاهر في الخواتم  
وما جاهل في قومه مثل عالم  
ومن قال لا، يقرع بها من نادم  
نبيّ أتاه الوحي من عند ربّه

وقوله:

وقالوا لأحمد أنت امرؤ ! خلوف الحديث ضعيف السبب(١٢)  
وإن كان أحمد قد جاءهم  
فإننا ومن حج من راكب  
بصدق ولم يأتهم بالكذب  
وكعبة مكة ذات الحجب

تتالون أحمد أو تصطلوا  
ظباة الرماح وحاد القضب  
وتعترفوا بين أبيتكم  
صدر العوالي وخيلا شرب  
عليها صناديد من هاشم  
هم الأتجبون مع المنتجب

#### ٤ - نشره:

مر عليك شيء منه ونذكر لك هنا وصيته التي ذكرها جميع من المؤرخين كالألوسي في بلوغ الأرب (١٣) والديار بكري في تاريخ الخميس (١٤) والدحلاني في إسناده (١٥) والحلي في سيرته (١٦).  
تقول نسخة بلوغ الأرب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى إنه لما حضرت أبا طالب الوفاة، جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال: يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع، الواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلکم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليك الوسيلة، والناس لكم حرب، وعلى حربكم ألب، وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية - يعني الكعبة - فإن فيها مرضاة للرب، قواماً للمعاش، وثباتاً للوطأة، صلوا أرحامكم، فإن في صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، اتركوا البغي والعقوق، ففيهما هلكت القرون قبلكم، أجبوا الداعي، واعطوا السائل، فإن فيهما شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام، وإنى أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاءنا بأمر قبيلة الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وإيم الله كآني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف، والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته، وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناً، ودورها خراباً، وضعفوا أرباباً، إذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها وأصفت له بلادها، وأعطته قيادها، يا معشر قريش كونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة، وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي، هذا ما جاء في بلوغ الأرب، وزاد في روضة الواعظين قوله: غير أنني أشهد بشهادته وأعظم مقالته.

#### الهوامش:

(١) آل عمران: ١٥٩ .

- (٢) هذه الأبيات من قصيدة طويلة تربو على المائة بيت تجدها مذكورة مع شرحها في كتاب لب لباب لسان العرب، وذكرها أيضاً عبدالمك بن هشام في السيرة ١: ١٦٧ ط ٢ في مصر ونقلها ناسخ التواريخ، وأورد أبياتاً منها الألوسي في بلوغ الإرب ١: ٣٥٩ ط أولى، وتجد عدة أبيات منها في شرح النهج الحديدي ٢: ٢١٥ و ٢١٦ ط مصر، وأتى على أبيات منها العلامة الدحلاني في أسناه: ١١، وقال: وفي القصيدة أبيات كثيرة تدل على إيمانه وتصديقه ثم قال: قال ابن كثير هذه القصيدة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى.
- (٣) ترى هذه الأبيات في سيرة ابن هشام ١: ٢١٥ ط ٢ وتراها أيضاً في شرح النهج الحديدي ٢: ٢١٢ .
- (٤) قال العلامة الدحلاني في أسناه: ١٠: عندما ذكر هذا البيت ما هذا لفظه - هذا البيت من قصيدة لأبي طالب قالها في زمن محاصرة قريش لهم في الشعب وهي قصيدة بليغة غراء تدل على غاية محبته للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والتصديق بنبوته وشدة حمايته له والذّب عنه.
- (٥) في القاموس العزاء السنة الشديدة .

- (٦) القساسية كما في القاموس سيوف منسوبة إلى معدن بأرمينية يقال له القساس كغراب.
- (٧) ذكر هذه الأبيات الدحلاني في أسناه: ١٠، وأوردها الثعلبي في تفسيره فقال: قد اتفق على صحة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل وعبدالله بن عباس والقاسم بن مخميرة وعطا بن دينار، وأدرج أبو الفداء المؤيد بيتاً واحداً منها في تاريخه ١: ١٢٠ حيث قال: ومن شعر أبي طالب مما يدل على أنه كان مصداقاً لرسول الله قوله: ودعوتني وعلمت أنك صادق - البيت - وتراها في السيرة الحلبية ١: ٢٨٢ .
- (٨) أوردها ابن هشام في سيرته ١: ١٦٥ ط ٢، وذكرها الدحلاني في أسناه: ١١ فقال: هذه الأبيات من غرر مدائح أبي طالب الدالة على تصديقه بالنبوة وبما جاء به (صلى الله عليه وآله وسلم) .
- (٩) في السيرة الهشامية ١: ٢٢٦، وفي شرح النهج الحديدي ٢ / ٢٧ .

(١٠) شرح النهج الحديدي ٣: ٣١٤ .

(١١) في الجدل نفسه: ٣١٢ .

(١٢) فيه أيضاً: ٣٠٩ .

(١٣) ١: ٣٢٧ و ٣٢٨ ط الثانية.

(١٤) ١: ٣٢٩ ط أولى.

(١٥) ص ٥.

(١٦) ١ : ٣٥٢ ط مصر.

## تاريخ وفاته

لا يمكننا البت بضرس قاطع في تعيين السنة التي توفي فيها، لاختلاف المؤرخين في ذلك تبعاً لاختلاف الروايات، لكن يمكننا أن نرجح أنها كانت في السنة العاشرة من البعثة نظراً إلى ترجيح الأخبار التي حكى وفاته في السنة العاشرة، ولذا ذهب الأكثرون إلى ذلك، ففي السيرة الحلبية توفي أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين، وبعد مضي عشر سنين من البعثة، وفي تاريخ أبي الفداء: مات أبو طالب في السنة العاشرة من البعثة، وفي بلوغ الأرب قال الواقدي: وتوفي أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة، وهو ابن بضع وثمانين سنة، وفي تاريخ الخميس عن السيرة اليعمرية: مات أبو طالب في السنة العاشرة من النبوة، وفي كامل ابن الأثير: توفي أبو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين، وبعد خروجهم من الشعب توفي أبو طالب في شوال أو في ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة، وقال ابن هشام في سيرته: مات أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين، وقال ابن الجوزي كما في تاريخ الخميس: مات أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين، وفي البحار في باب دخول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الشعب: وفي السنة العاشرة من النبوة مات أبو طالب، وعن قصص الراوندي: توفي أبو طالب في آخر السنة العاشرة من بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقال الطبري: ثم إن أبا طالب وخديجة هلكا في عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنين، وفي الطبقات لابن سعد: توفي أبو طالب في السنة العاشرة من حين بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واختلفت كلمات الأقلين فردد بعض وفاته بين التاسعة والعاشرة، واختار بعض كونها في الثامنة، ونسب القول بها في العاشرة إلى القليل، يقول الدحلاني في سيرته كانت وفاة أبي طالب في التاسعة أو العاشرة من النبوة، ويقول ابن عبد البر في استيعابه: توفي أبو طالب في السنة الثامنة وقيل في العاشرة من مبعثه (صلى الله عليه وآله وسلم).

فمن هذا ونحوه يتمكن المطلع من ترجيح قول الأكثر ذلك عندما يرى من الإختلاف والإضطراب في قول الأقلين.

## النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤيّن أبا طالب

إنّ فقد أبي طالب وإن عمّ وقعه شعوب قريش وقبائلها جمعاء وعز سمعه على الجميع، وخص آل هاشم وبني عبدالمطلب وآل أبي طالب غير أنّ ذلك المصاب اختص بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) علاوة على ذلك بالخصوص، فإنّ علاقتي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الودية والسياسية الصميمتين كانتا مقصورتين على أبي طالب فبفقدته فقد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عطوفاً ومستشاره الوحيد في مهمات أعماله، ويدفنه دفن جميع آماله المعجلة في أم القرى، وهذه الخصوصية الثانية لم تكن لسواه (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أبي طالب، قال عبد مناف وإن شاركوه في التأثر لفقد أبي طالب من حيث المحبة والرحم كل بحسبه فيها، غير أنهم لم يشاركوه في الجهة الثانية، ولقد نهض أبو طالب يوم كان بواجب العلاقتين أيما نهوض، فإنّ أبا القاسم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي ميزه أبو طالب بمحبته، ومحضه نصحه وآثره بإعزازه، واختصه بنصرته، فكم جاهد بين يديه وجالد، وكم أغضب وأغضب في سبيله وباعد، فكان بذلك كله أبا رؤوفاً وبراً عطوفاً يفدى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه وأهله وماله وولده، ويجد بذلك كله قرّة عين وبرد فؤاد، وجذل ظفر وصفقة ربح، فلذلك اختص المنقذ الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخصوص بجليل رزقه وفادح خطبه وألم مصابه وعليه فهل يستبعد من النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقوفه في مواطن عديدة لتأبين عمه قياماً بواجب شكره وأداء لحق إحسانه وبره.

نعم قام (صلى الله عليه وآله وسلم) في مواطن كثيرة يؤبّنه ويبيكه ويعدد نعمه عليه وأياديه - فمنها - عندما وقف عليه وهو مسجى فقال (١) يا عم كفلت يتيماً وربيت صغيراً ونصرت كبيراً فجاك الله عني خيراً يا عم.

ومنها: لما رفع نعشه بعدما غسله علي (عليه السلام) وحنّطه وكفنه بأمر (٢) النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولسيعة فاعترض النعش وقال (٣) برقة وحزن وكآبة - وصلت رحماً وجزيت خيراً يا عم، فلقد رببت وكفلت صغيراً ونصرت وآزرت كبيراً.

ومنها: حين وضع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عمه في لحدّه فاتّه بكى وقال (٤): وأبتاه، وأباطالباه، واحزنه عليك يا عمه كيف أسلو عنك، يامن رببتي صغيراً، وأجبتني كبيراً، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة، والروح من الجسد.

هذه الكلمات هي من جوامع الكلم أغنت عن جمل مطولة، وخطابات مفصلة، فقد مر (صلى الله عليه وآله وسلم) على تاريخ حياة عمه أبي طالب معه في حسن الرعاية وجيل العناية بكلمات أربع، كفلت، رببت، أجمت، نصرت.

وأنت إذا رجعت إلى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد، علمت مقدار حفاظه ومحافظته وحياطته له (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبحق أنّ التاريخ لو لم يذكر عن أبي طالب شيئاً لعرفنا التفاصيل كلها بهذه الكلمات الوجيزة، ولكانت هي وحدها تتكفل شرح ما هو مبهم لدينا من أحواله.

إنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن ليقصر على ذكره لأبي طالب في هذه المواطن فحسب، بل ما زال يذكره ويشكره مدة عمره ، ويرشدك إلى ذلك ما سيمر عليك قريباً إن شاء الله تعالى تحت عنوان، ليس للنبي مقام في مكة بعد أبي طالب، ومن ذلك أيضاً ما ذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣ : ٣١٦ من أنّ أعرابياً جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عام جذب فقال: أتيناك يا رسول الله ولم يبق لنا صبي يرضع ولا شارف يجتر، ثم أنشد:

أتيناك والعذراء تدمى لبانها ! وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل  
وألقى بكفيه الفتى لاستكاته من الجوع حتى لا يمر ولا يحلي  
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل  
وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مربعاً سحاسحاً، لا غدقاً طبقاً دائماً درراً، تحيي به الأرض وتنبت به الزرع، وتدر به الصرع، واجعله سقياً نافعاً عاجلاً غير راثث، فوالله ما رد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يده إلى نحره حتى القت السماء أرواقها وجاء الناس يضحون: الغرق الغرق يا رسول الله، فقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فأتجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل، فضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بدت نواجذه، ثم قال: لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عينه، من ينشدنا قوله؟ فقال علي (عليه السلام) فقال: يا رسول الله لعلك أردت: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه، فقال: أجل، فأنشد أبياتاً من هذه القصيدة، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يستغفر لأبي طالب على المنبر، ثم قام رجل من كنانة وأنشد:

لك الحمد ممن شكر !	سقيناً بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة	إليه وأشخص منه البصر
فما كان إلا كما ساعة	أو أقصر حتى رأينا الدرر
دفاق العزالي وجمّ البعاق	أغاث به الله علياً مضر
فكان كما قاله عمه	أبو طالب ورواه غرر
به يسر الله صوب الغمام	وهذا العيان، وهذا الخبر
فمن يشكر الله يلقى المزيد	ومن يكفر الله يلقى الغير

فمن قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عينه، تعلم أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) شديد الغرام بأبي طالب كثير الذكر له، ولذا تراه لأول مناسبة يذكره وهو على المنبر في ذلك المجتمع بأحسن الذكر، ومن بقائه (صلى الله عليه وآله وسلم) على المنبر حين أنه قد انتهى غرضه، ومن استنشاده شعره في ذلك الحال يمكنك أن تستنتج استراحته(صلى الله عليه وآله وسلم) وارتياحه لذكره، ولا يخفى ما في ذلك مع دوام استغفاره له في الوقت نفسه، من إكبار أبي طالب وتكبيره في أعين المجتمعين، سيما إذا رأوا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يتهلل وجهه فرحاً وسروراً بسماع منظومه، ونحن نستظهر دوام ذكره له في خلواته ومع أصحابه وفي كل موطن من سير أحوال الصحابة معه (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي ترديد ذكر عمه بأدنى مناسبة، فكان حبه لذلك معلوم لديهم من حال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فهم يتقربون إليه بدوام إيناسه بذكره، ويرشدك إلى ذلك بيت الكناتي المتقدم الذكر (فكان كما قاله عمه أبو طالب) البيت، وما يروى(٥) مسنداً عن ابن عباس أنه قال: جاء أبو بكر إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بأبي قحافة، يقوده، وهو شيخ كبير أعمى فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وآله وسلم): ألا تركت الشيخ حتى نأتيه، فقال: أردت يا رسول الله أن يوجهه الله تعالى ، والذي بعثك بالحق لأننا كنت أشد فرحاً بإسلام عمك أبي طالب مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرّة عينك، ونتبع ذينك بشاهد ثالث يقول ابن أبي الحديد - في شرح النهج ٢ : ٣١٦ في شأن أبي عبيدة بن الحرث نقلاً عن السير والمغازي - إن عتبة بن ربيعة أو شيبه لما قطع رجل أبي عبيدة بن الحرث بن المطلب يوم بدر أشبل(٦) عليه علي وحمزة فاستنقذاه منه، وخبط عتبة بسيفهما حتى قتلاه واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش، فألقياه بين يدي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وإن مخ ساقه ليسيل، فقال يا رسول الله: لو كان أبو طالب حياً لعلم أنه كان صادقاً في قوله:



كذبتهم وبيت الله - نيزى محمدا ! ولما نطاعن دونه و نناضل  
وننصره حتى نصرع دونه ونذهل عن أبناننا والحلائل

فاستغفر رسول الله له ولأبي طالب وبلغ عبدة مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الصفراء، فمات فدفن  
بها رحمه الله تعالى.

هذه حالة الصحابة معه (صلى الله عليه وآله وسلم) كما ترى يذكرون عمه لأول مناسبة، ولا نرى منشأ  
ثمة سوى ما قلناه.

الهوامش:

(١) رواه ابن بابويه في الأمالي مسنداً.

(٢) قال في أسنى المطالب: ٢٤، فمن الصحيح ما أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن علي(عليه السلام)  
قال: أخبرت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بموت أبي طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواره  
غفر الله له، وفي الصحيفة نفسها قال وفي السيرة الحلبية أنّ هذا الحديث أخرجه أيضاً أبو داود والنسائي  
وابن الجارود وابن خزيمة عن علي (عليه السلام) وذكر الحديث نفسه.

(٣) رواه المجلسي عن المفيد، وفي الإصابة ٧: ١١٣ ط مصر سنة ١٣٢٥ ذكره ابن حجر بتصريف  
واختصار.

(٤) يرويه البكري في كتاب مولد أمير المؤمنين(عليه السلام).

(٥) الإصابة ٧: ١١٣ ط مصر سنة ١٣٢٥.

(٦) عطف عليه وأعانه.

## تشريع صلاة الأموات بعد موت أبي طالب

للسائل أن يسأل أصلي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على جنازة عمه أبي طالب أم لا؟ والجواب هو ما أجاب به أبو الجهم بن حذيفة، حيث سئل بعين هذا السؤال فقال: وأين الصلاة يومئذ؟ إنما فرضت الصلاة بعد موت أبي طالب، ولقد حزن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمر علياً بالقيام بأمره وشيع جنازته، روى ذلك أبو الفرج مسنداً، وهذا من المسلمات. فقد روى أيضاً الموضح النسابة مسنداً: أن أبا طالب لما مات لم تكن الصلاة على الأموات مفروضة فما صلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه ولا على خديجة، لكن حزن عليه وشيع جنازته واستغفر له، انتهى.

والذي عليه أهل السير وغيرهم: أن وفاة خديجة كانت بعد وفاة أبي طالب، ترى ذلك في سيرة الملا، وسيرة اليعمري، وفي حياة الحيوان، والسمط الثمين، وأسد الغابة، والإستيعاب، وأنت إذا أحرزت هذا، يمكنك أن تستبده المطلب من جميع جهاته من طريق القوم بتقريب ما ستسمعه.

ففي تاريخ الخميس يقول صاحب الصفوة: ونزل (صلى الله عليه وآله وسلم) حفرة خديجة، ولم يكن يومئذ سنة الجنائز والصلاة عليها، وفي السيرة الحلبية: ودفنت خديجة - بالحجون - ونزل (صلى الله عليه وآله وسلم) حفرتها، ولم تكن الصلاة على الجنائز شرعت، فمن هذا وذاك يتضح لك أن الصلاة على الجنائز إنما فرضت بعد موت أبي طالب.

## يوم أبي طالب

من البديهي أن مكانة شيخ الأبطح في قريش، وبروز شخصيته فيها، هي وحدها مدعاة لأن يكون يومه يوماً مشهوداً، ونحن لم نكتف بهذا التقريب فحسب، هذا أبو الحسن البكري في كتاب مولد أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: شققن النساء على أبي طالب الجيوب، ونشرن الشعور، وشمل الحزن جميع شعاب مكة وشعوبها.

وقد ذكر السيد فخار بن معد في كتابه أبياتاً لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) يرثي فيها أباه منها:

أبا طالب عصمة ! وغيث المحول ونور الظلم

المستجير فصلى عليك وليّ النعم

لقد هد فقدك أهل الحفاظ

!!

## ليس للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مقام في مكة

### بعد أبي طالب

أجل، بفضل حماية أبي طالب وحياطته، تسنى للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) البقاء في مكة بعد إظهار الدعوة، وما أن غاب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجه أبي طالب حتى ظهرت في وجوه قريش صفحات الغدر، وعلتها سمات المكر، فقد خلا لهم الجوى، وتفرق جيش محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم ارتحل بيضة البلد، ولقت أعلامه يوم غيب في التراب العمى، وبذلك تهدم سور المانع، وتكهم سيفه القاطع، واستوحد أبو القاسم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا مانع ولا دافع، ولذا عدوا عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) ويؤذونه بصنوف من الأذى، وقعدوا له كل مقعد، وضعوا عليه العيون في كل مرصد، وأخذوا يرمونه بالدواهي من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله، ومن فوق رأسه الشريف، ومن تحت قدميه، وأقبلت الفواق تترى كقطع الليل المظلم، تترامى عليه في المضائق والمتفرجات، وفي قمم الجبال الشاهقة، وفي أعلى الأكمات، وفي بطون الأودية، وفي السهل والحزن، وقد أشار (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى هذا ونحوه حيث قال: (لم يؤذ نبيّ بمثل ما أوذيت به).

لم تكن قريش لتحلم ببعض هذا في حياة عمّه، بل ولا في العشر من المعشار، بل ولا في الواحد من ألف، ولذا كان (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيراً ما يشكو بثه وحزنه - وفيما أحسب إنّه لبقايا أصحابه المستضعفين الذين لم يتمكنوا من الهجرة إلى الحبشة أو غيرها - فيقول (١): ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب. وعند اشتداد الأزمة وتفاقم الخطب بتهجمهم عليه المرة تلو المرة، وإنزالهم به الضربة إثر الأخرى، كان يستصرخ روح عمه الطاهرة، ويستريح بالكشوى إليها، فيقول: يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك (٢) وفي أثناء تلك الشدائد أمره الله تعالى بالخروج من مكة.

يروى الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال جبريل: يا محمد، اخرج من مكة فليس لك بها ناصر، فخرج هارباً حيث ثارت به قريش حتى جاء إلى جبل يقال له الحجون فصار إليه.

ويقول ابن أبي الحديد في شرح النهج ١: ١٠: جاء في الخبر أنّه لما توفي أبو طالب أوحى الله إلى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن اخرج من مكة فقد مات ناصرك.

ويخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به، فأبت نفوس الثقيفيين الخبيثة إلا الطغيان، حيث امتنعوا عن نصرته وعن الإصغاء لدعوته وجبهوه بالرد بأقبح صورة، وناله منهم من الإحتقار ما الله به أعلم، ولما انقطع رجاؤه من ثقيف أراد (صلى الله عليه وآله وسلم) الإنسحاب بانتظام فأبوا عليه، وأغروا به صبيانهم وعبيدهم وسفهاءهم، فأخذوا يرمونه بالحجارة تارة، ويقذعون في الشتم والسباب تارة أخرى، حتى التجأ إلى بستان فعمد إلى شجرة فاستظل فيها، والدم يسيل من ساقيه وقدميه لشدة وقع ما أصابه من الحجارة، وهو يناجي الله سبحانه وتعالى شاكياً، حيث يقول (٣): اللّهُمَّ أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ فلا غضب فلا أبالي! ولكنّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك.

ثم قدم مكة وقومه على أشد ما كانوا عليه من خلافه، ولما عرض نفسه على القبائل في الموسم يدعوهم إلى الله تعالى، أنشأوا ينظمون الحركات القوية ضد دعايته (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحيث لم ينجحوا في تمام تدابيرهم - ووقفوا على شيء من بيعة الأنصار المدنيين في العقبة، ورأوا أنّ أمره لا يزداد إلا علواً، وشأنه إلا رفعة ودينه إلا انتشاراً مهما لجّوا في كفرهم، ومهما وضعوا على دعايته العيون والأرصاد، ومهما أوغلوا في تحقير أمره وتصغيره - طفقوا يرتأون الحيلة في قتله حذار تغلبه عليهم، فيما إذا كثر أعوانه، وعقدوا لذلك اجتماعات خاصة، وكان الإجتماع الأخير في دار الندوة فتبادلوا الآراء ثمة، وبعد مخطئها وقع الجميع على القرار النهائي في سفك دمه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فانتدبوا لهذا الأمر جماعة من بطون قبائل شتى، ليضيع دمه باشتراك القبائل فيه، لكن خلص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من كيدهم ومكرهم، فإن الله تعالى أنزل على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك الحين قرآناً يتلى فيما دار بينهم من المكر "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (٤).

ثم أطلعه سبحانه وتعالى على تفصيل ما أجمعوا عليه، وأذن له بالهجرة فدعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليّاً (عليه السلام) وأطلعه على ما أجمعت عليه قريش، وعهد إليه بأمر ثم أمره بالمبيت على فراشه ليلة موعد هجومهم عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) بأسيا فهم لإنفاذ القرار، فأجابته علي (عليه

السلام) مليئاً بصدر رحب، ورباطة جأش، مفديا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه، بأدلاً فيه مهجته، فبات على الفراش يصوّر في عيون المهاجمين أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) باق لم يبارح مكانه حيث التف ببرده(صلى الله عليه وآله وسلم) الحضرمي الأخضر الذي كان يلتف (صلى الله عليه وآله وسلم) به عند المبيت، ثم خرج(صلى الله عليه وآله وسلم) مهاجراً فأنزل الله تعالى في تلك الليلة في أمير المؤمنين(عليه السلام): "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ" (٥) تقديراً لمبيت علي(عليه السلام) على الفراش وإعظماً لشأنه، وليبيان فضل أكرامة المبيت محل آخر.

نعم كان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في حياة أبي طالب في غنية عن هذه المشاق، ولما أودى كان ما سمعت مجمله، واضطر للجلاء عن بيت الله الحرام ولم يبق له في مكة مقام وهي مسقط رأسه ومحل أنسه وكرسي مجد أبائه(صلى الله عليه وآله وسلم) وأجداده، فتأمل بهذا ونحوه أيها المسلم المنصف واشكر لأبي طالب جهوده وقدر مواقفه ومقامه في الإسلام ولا تكن من الجاحدين لكلمة خرجت من فم السياسة الأموية فتلقاها بعض بقاسري الرهبة والرغبة "كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا" (٦).

الهوامش:

(١) الطبري جلد ١ ج ٢: ٢٢٩، السيرة الحلبية ١: ٣٥٣.

(٢) السيرة الحلبية ١: ٣٥٣.

(٣) سيرة ابن هشام ١: ١٤٧ ط ١.

(٤) الأنفال: ٣٠.

(٥) ذكر ذلك الثعالبي والرازي في تفسيريهما عند الكلام على هذه الآية من سورة البقرة: ٢٠٧.

(٦) الكهف: ٥.

## رأي العالم الإسلامي في إسلام أبي طالب

### ١ - الشيعة الإمامية:

جملة الإمامية بقول واحد على إسلامه وإيمانه تبعاً لأنمتهم أهل البيت(عليهم السلام) الذين أرشد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم، ودل عليهم، وأمر بالإستمسك بهم في أمر الدنيا والدين فهم كما قال(صلى الله عليه وآله وسلم) سفن النجاة، وباب حطة، وأمان أهل الأرض، وأحد الثقلين اللذين لن يضل من تمسك بهما، إلى غير ذلك مما ترويه عنه(صلى الله عليه وآله وسلم) صحاح أهل القبلة كافة.

### ٢ - الزيدية:

أكثر الزيدية يقولون بمقالة الإمامية في إسلامه وإيمانه.

### ٣ - المعتزلة:

يقول بعض أكابر المعتزلة بعين المقالة المتقدمة ولا يرى لغيرها نصيباً من الواقع.

### ٤ - العامة:

منهم من يرى إيمانه، والجمهور منهم ومن المعتزلة وقليل من الزيدية يرون أنه مات على الكفر والعياذ بالله، وقريباً نوقفك على رد ما تمسكوا به لمزعتهم الفاسدة.

## سر التشكيك في إسلامه

### أو تاريخ تولد النزاع فيه

كم من حقيقة ناصعة بيضاء ذهبت فريسة الأهواء! وكم من حقائق راهنة وضعت في باحة التشكيك وربما مضى على أحدها أعوام عديدة وأيدي الخلائق جمعاء تشير إليها بالتسليم، وتتصافق عليها بالسلام والدعة ولم يخطر على قلب بشر أن يضعها في ميزان الشك أو على بساط البحث والنظر! غير أن أيدي القوى الزمنية القاهرة كثيراً ما حولت الضروري نظرياً، والحلال حراماً والحرام حلالاً، والجمل ناقة، ولذا نراها تقتل كل حقيقة مشروعة تعترض سيرها بكل نوع من المدمرات كيفما ساعدتها الظروف وعلى قدر الرهبة والرغبة، وتجد في التشكيك لذة حينما لا يمكنها القضاء على بعض الحقائق قضاء نهائياً، ذلك عندما نراها تذيب الأنبياء لا عن حقيقة فتمثل روايات الافتراء على مسarach هذه الحياة حيثما شاعت وشاء لها التشكيك بحقيقة راهنة يقرها العقل والمنطق.

من هذه الحقائق - التي كانت من الواضوح بمكان في الصدر الأول من الإسلام - إيمان أبي طالب. أجل لم يكن النزاع في هذه المسألة معروفاً قبل منازعة الإمام علي(عليه السلام) في أمر الخلافة حينما صارت إليه، والذي اعتقده ويعتقده كل من نظر في التاريخ والسير والأخبار وأمعن النظر بدقة، أن نزاع المسلمين في الإثبات والنفي في المسألة إنما هو وليد قيام معاوية وزملائه ضد الخلافة العلوية، وليد أسعارهم نيران الحرب والفتن عداوة لصالح المؤمنين علي(عليه السلام)، وليد جهدهم في الليل والنهار في دحض كل فضيلة ومكرمة عنه، ولقد أبت نفوسهم إلا التشكيك بعنوان مناقب والد الإمام (عليه السلام) وحبيب النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم).

هنا يلزمنا أن نمر بك على طرف يسير من سيرة معاوية وأعماله التي ترتبط بالمقام، ليكون ذلك هو البرهان الجلي على صحة نظريتنا في استنتاج تاريخ تولد النزاع في المسألة. تريع معاوية على العرش وبالرغم من كره الأمة، واستوسقت له الأمور بعد مقتل علي(عليه السلام) ، وصالح الحسن (عليه السلام) على شروط اشترطها عليه لم يف له بها، فلم يكن في الدنيا بعد ذلك أثقل على معاوية من ذكر مناقب علي(عليه السلام) وأهل بيته، في حين أن من بقي من الصحابة ذوي السوابق في الإسلام يسبحون بحمد علي(عليه السلام) ويقدمون آثاره، ويقدررون له جهوده، ويحدثون



بما جاء في القرآن والسنة في مناقبه، لأيديه البيضاء على الإسلام منذ قام بالدعوة أخوه الصادق الأمين إلى آخر آن من حياته(عليه السلام).

وبالطبع إن هذا من الصحابة أمر لا بد منه، فإن علياً(عليه السلام) هو بطل هذا الدين، وساعد مؤسسه(صلى الله عليه وآله وسلم) الأشد، وخليق بكل صحابي أو تابعي أن يطريه ويطري أهل بيته، لما لهم من البروز والظهور في الإسلام، ومهما أجاد الصحابي في مدحهم (عليهم السلام) يعترف بالتقصير عندما يرتل سور حمدهم(عليهم السلام) في القرآن، ويتلو محمود مدحهم في السنة، وهذه المدائح الباهرة التي كان يسمعها معاوية لم تكن لتثقل على سمعه فحسب، بل إنها كانت تبعث إلى نفسه أسوأ الأوهام والظنون، وتجعله يتقرب من ورائها الويل والثبور، على حين أنه لم يحطم أساس كل مسنون في الإسلام، إلا ليستولد من الخلافة ملكاً ضخماً يقره في عقبه، وما دام لأهل البيت نور وظهور وفيهم نظير سبطي الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الحسن والحسين(عليهما السلام) لا يدوم لبني أبيه ملك، وإن دام ملكه في حياته، والحق لا محالة بعد مهلكه يرجع إلى نصابه، لذلك كله أراد معاوية أن يبرم الأمر لبني أبيه، ويبني لهم سوراً حصيناً حول العرش، ومن البديهيات الأولية بنظر الداهية الأموي، أنه لا يستقيم له ذلك إلا بنقض أساس سور أهل البيت (عليهم السلام) وإطفاء نورهم، وحمله الناس على رقابهم، وفعله الشنيع في أصحابهم، وقد تلقى هذه النظرية عنه الأمويون كافة، ولذا قال مروان بن الحكم - كما أخرجه الدارقطني - ما كان أحد أدفع عن عثمان من علي، فليل لمروان: ما لكم تسبوننه على المنابر؟ فقال: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك.

وقد طبق منهاج نظريته هذه كما يحكيه لنا التاريخ، فتارة يروي لنا بطش معاوية وتنكيله بشيعة علي(عليه السلام)، بل وبكل من ذكره وآله بخير، أو روى لهم عن صاحب السنة(صلى الله عليه وآله وسلم) فضيلة.

وطوراً يحدث عن تفريقه بدر الذهب الوهاج، وإقطاع المقاطيع والضياح، وبناء البنايات الفخمة وتجهيزها بالأثاث والرياش لمتنسكي السوء، على أن يخلقوا الأحاديث المكذوبة بالغض من كرامة علي(عليه السلام) وأهليه، والنيل منهم بأقبح صورة ثم يذيعون روايتها في الأقطار. هكذا تستشهد جملة من الحقائق، ويشكك في جملة أخرى، وكذا تكون بين فجوتي الترهيب والترغيب مجزرتها العظمى. وبذلك تسنى لمعاوية أن يجعل من السنة شتم علي(عليه السلام) نحو ستين سنة.

يقول الحافظ السيوطي إنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي(عليه السلام)

بما سنّه لهم معاوية من ذلك، وفي ذلك يقول العلامة أحمد الحفظي الشافعي في أرجوزته:

وقد حكى الشيخ السيوطي إنه \*\*\* قد كان فيما جعلوه سنّة

سبعون ألف منبر وعشرة \*\*\* من فوقهن يلعنون حيدرة

وهذه في جنبها العظائم \*\*\* تصغر بل توجه اللوانم

فهل ترى من سنّها يعادى \*\*\* أم لا وهل يستر أم يهادى؟

أو عالم يقول عنه نسكت \*\*\* أجب فإني للجواب منصت

وليت شعري هل يقال اجتهدا \*\*\* كقولهم في بغية أم أهدا؟

أليس ذا يؤذيه أم لا؟ فاسمعن \*\*\* إن الذي يؤذيه يؤذي من ومن

بل جاء في حديث أم سلمة \*\*\* هل فيكم الله يسب مه لمه؟

عاون أخوا العرفان بالجواب \*\*\* وعاد من عادى أبا تراب

وهاك جملاً تناسب المقام، وتظهر لك نفسية معاوية، وتريك سوء عمله في اتخاذ كل تدبير لطمس منار

أهل البيت (عليهم السلام) "يُرِيدُونَ لِيُطْفَؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"(١).

ففي شرح النهج الحديدي ٣: ١٥، روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدني في كتاب الأحداث

قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة، أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي

تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كور وعلى كل منبر يلعنون علياً (عليه السلام) ويبرأون منه،

ويعقون فيه، وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي(عليه

السلام) فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان

منهم أيام علي(عليه السلام) فقتلهم تحت كل حجر ومدبر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون،

وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى

عماله في جميع الأفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم

من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته الذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجلسهم، وقربوهم،

وأكرموهم، واكتبوا إليّ بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا

في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطناع، ويفيضه

في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فلبثوا بذلك حيناً، ثم

كتب إلى عمّاله إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، فلا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعل، فإنّ هذا أحب إليّ، وأقرّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرنت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة، لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا في ذلك ما شاء الله تعالى، ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان! أنظروا إلى من قامت عليه البيعة، أنّه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى!! من اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره، فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه في العراق ولا سيمًا بالكوفة، حتى أنّ الرجل من شيعة علي(عليه السلام) ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس بلية في ذلك القراء المرآون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنّها حق، ولو علموا أنّها باطلة لما رووها، ولا تدينوا بها، فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي(عليه السلام) فازداد البلاء والفتنة، ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين(عليه السلام)، وولي عبدالمك بن مروان فاشتد على الشيعة، وولّى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين بيبغض علي(عليه السلام)، وموالاته أعدائه فأكثروا في الرواية في فضلهم ومناقبهم، وأكثروا من الغض من علي(عليه السلام) وعيبه والطعن فيه والشنآن له، حتى أنّ إنساناً وقف للحجاج يقال إنّ جد الأصمعي عبدالمك بن قريش فصاح به: أيها الأمير إنّ أهلي عقوني فسموني علياً، وإني فقير بانس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجاج وقال: للطف ما توصلت به قد وليتك موضع كذا.

وعن الكامل للمبرد: استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة ودعاه فقال له: أما بعد ، فإنّ لدى الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا ولا يجزى عنك الحليم بغير التعلم، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا

تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاعك بخصلة واحدة! لا تترك شتم علي وذمه والعيب لأصحابه والإقصاء لهم، فقال له المغيرة: قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك، فلم يذمني، وستبلوني فستحمد أو تذم، قال: بل تحمد إن شاء الله، فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة وهو أحسن شيء سيرة، غير أنه لا يدع شتم علي (عليه السلام) والوقوع فيه.

وفي شرح النهج الحديدي ١: ٣٦١: أن معاوية بذل لسمره بن جندب مائة درهم، حتى يروي هذه الآية أنزلت في علي (عليه السلام) "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ \* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ" (٢) وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ" (٣). فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل، وروى ذلك.

إن مذبذب الحديث أروج سلعة بيعت في أسواق السياسة الأموية، وهذا من مهمات جنائياتهم على الدين الإسلامي، يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣: ١٦: قال ابن عروة - المعروف بنفطويه - وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم: إن أكثر الأحاديث الموضوعية في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم، ويقول فجر الإسلام ١: ٢٥٥: وتلمح أحاديث كثيرة لا تشك وأنت تقرؤها أنها وضعت لتأييد الأمويين، كالخبر الذي روى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في معاوية: اللهم قه العذاب والحساب، وعلمه الكتاب. وكالذي روى أن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء.

ومن الضروري الذي لا يخالجه ريب، أن من لا يتحرز عن مثل هذه المناكير فهو خليق بأن لا يتحرز عن وضع الأخبار الكثيرة في تكفير أبي طالب (عليه السلام) إيذاء لعلي (عليه السلام) وآل أبي طالب وشيعتهم، ليكون للمتغلب الأموي بذلك قرّة عين، ومن هان عليه بذل أربعمائة ألف لسمره ليروي للناس أن الآية الأولى المتقدمة الذكر أنزلت في علي (عليه السلام)، يهون عليه البذل في سبيل تكفيره والده (عليه السلام). على أن الأغراض السياسية التي قادتهم إلى الطعن في آل أبي طالب هي نفسها التي حدثهم على الطعن في أبي طالب، وبالطبع إن مثل هذه التعابير تنطلي على كثير من البسطاء في ذلك العصر، فيرونها حقاً، وبذلك ترجح كفة ابن أبي سفيان بنظرهم، وتخف كفة علي (عليه السلام) حينما يرون الطعن فيه وفي أبيه وفي شيعته وذويه.

نعم ويؤدي ذلك في العصور المتأخرة إلى الإعتقاد بصحتها من جملة من العرفاء، وبالأخص عندما يجدونها كروايات مسندة إلى من يمت بأبي طالب بنسب، أو تجمعه وإياه أسرة رحم، وما هي في الحقيقة إلا افتراءات مفتعلة من رجال السوء.

وبمثل هذا اغتر كثير من العرفاء، ومنهم الفاضل المعتزلي، لما نقلت له أسطورة النفس إلى المنصور، فاتخذها بيده مستمسكاً قوياً، وطفق يعربد في تقريب صحتها وقبولها معاً بدون ما روية وثبتت، وستسمع ما هو التحقيق فيها إن شاء الله تعالى.

فبمجموع ما قدمناه، يمكنك أن تكتنه السر في الإختلاف في المسألة وتستطيع أن تستنتج تاريخ تولد النزاع.

الهوامش:

(١) الصف: ٨.

(٢) البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

## نظرة فيما تمسك به المكفرة

نحن لو رجعنا إلى ما تمسك به المكفرة، لوجدناه في غاية من الوهن ولذا نرى أهل التحقيق لم يحفلوا به، بيد أنّ جماعة من الناس اعتمدوا على أخبار ملفقة، وأقوال بدون حجة، بيد أنّ جماعة من الناس اعتمدوا على أخبار ملفقة، وأقوال بدون حجة، وأغفلوا البحث عن صحتها وسقمها، وعمّا يعارضها من الصحاح.

منها: ما يروونه عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كلام: لأستغفرن لك، فأنزل الله تعالى: "ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم" (١). إنّ رواية نزول هذه الآية في أبي طالب مخدوشة السند، لا يصح أن يكون ذلك شأن نزولها، معارضة بما هو أقوى منها سنداً، وأقرب اعتباراً، وكل واحدة من هذه الجهات الثلاث تسقطها عن درجة الاعتبار عند أهل الفن.

١ - سندها: سمعت أنهم يروونها عن سعيد بن المسيب، وسعيد هذا لا يوثق بروايته، مع اشتهاره بالإنحراف عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج ١: ٣٧٠: وكان سعيد بن المسيب منحرفاً عن علي (عليه السلام)، ويرشدنا إلى ذلك ما حكاه عنه أيضاً في الصحيفة نفسها، قال: روى عبدالرحمن بن الأسود عن أبي داود الهمداني قال: شهدت سعيد بن المسيب وأقبل عمر بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال له سعيد: يا ابن أخي ما أراك تكثر غشيان مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يفعل إخوتك وبنو أعمامك، فقال عمر: يا ابن المسيب، أكلما دخلت المسجد أجيء فأشهدك، فقال سعيد: ما أحب أن تغضب، سمعت أباك يقول: إن لي من الله مقاماً لهو خير لبني عبد المطلب مما على الأرض من شيء، فقال عمر: وأنا سمعت أبي يقول: ما من كلمة حكمة في قلب منافق فيخرج من الدنيا إلا يتكلم بها، فقال سعيد: يا ابن أخي، جعلتني منافقاً، قال: هو ما أقول لك، ثم انصرف.

هذه الشدة والمصارحة من عمر بن علي (عليه السلام) مع ابن المسيب لم تكن إلا عن انحرافه الشديد عن والده (عليه السلام)، وإلا فليس في كلام ابن المسيب مع عمر ما يوجب هذا القدر من قوارص الكلم، وقد تجلّى لنا أثر انحراف سعيد بما يرويه لنا جمع من أهل السير، منهم الواقدي، من أن سعيد بن المسيب مر

بجنازة السجاد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، ولم يصل عليها، فقيل له: ألا تصلي على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالحين؟ فقال: صلاة ركعتين أحب إلي من الصلاة على الرجل الصالح.

وهذا القدر كاف في جرح ابن المسيب وإسقاط ما يرويه.

٢ - شأن نزولها: ترى أنّ كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أبي طالب كان قبل وفاته، كما هو نص رواية سعيد وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وهذه الآية هي الرابعة عشرة بعد المائة من سورة التوبة، وسورة التوبة أنزلت في غضون السنة التاسعة بعد الهجرة، وإذاً بين قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمة (لأستغفرن لك) وبين نزول الآية اثنتا عشرة سنة، وعليه فمن الغريب المستهجن جداً نزول هذه الآية في أبي طالب والحالة هذه.

٣ - معارضتها بما هو أصح منها سنداً وأقرب اعتباراً: يقول في أسنى المطالب ص ١٨: رأينا أنّ علياً (رضي الله عنه) روي عنه بطرق صحيحة، رواها الإمام أحمد والترمذي والطيالسي وابن أبي شيبة والنسائي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي، أنّ السبب في نزول الآية استغفار ناس لأبائهم المشركين، قال علي (رضي الله عنه): سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت: أتستغفر لأبويك وهما مشركان، فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكرت ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنزلت: "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا" (٢) الآية، فهذه الرواية صحيحة، وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة من حديث ابن عباس (رضي الله عنه)، قال: كانوا يستغفرون لأبائهم حتى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الإستغفار لأمواتهم، ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا، ثم أنزل الله تعالى: "وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ" (٣) الآية، يعني استغفر له ما دام حياً، فلما مات أمسك عن الإستغفار له، قال: وهذا شاهد صحيح، فحيث كانت هذه الرواية أصح كان العمل بها أرجح، فالأرجح أنها نزلت في استغفار الناس لأبائهم المشركين، لا في أبي طالب انتهى.

إذاً فتمسك المكفرة برواية ابن المسيب مع الخدش في سندها وعدم مطابقتها لشأن نزول الآية ووجود ما هو أصح منها، بمكان من الوهن وتنكب عن جادة الإنصاف، وخلاف لما عليه أغلبية أهل التحقيق كالزمخشري في كشافه عند الكلام على هذه الآية، حيث لم يصحح نزولها في أبي طالب، وكالعلامة السيد محمد بن رسول الملقب بالبرزنجي، حيث تتبع ما روي في نزول الآية، وبعد التحقيق قال - كما في أسنى

المطالب ص ١٧ - والصحيح أنها نزلت في آباء الناس الذين ماتوا في الكفر، وكان أولادهم يستغفرون لهم.

ومنها: قولهم إنَّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لمزيد حبه لعمه أبي طالب طلب منه أن يؤمن فأبى،  
فأنزل الله تعالى: "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (١٤)  
ويستدلون على ذلك بما يحكيه الزجاج من إجماع المسلمين على نزولها في أبي طالب(عليه السلام).  
يجدر بكل منصف أن يقضي عجباً من دعواهم الإجماع المومى إليه، فإن الشيعة الإمامية وهم من أكبر طوائف الإسلام لا يرون نزولها في أبي طالب تبعاً لأنمتهم الذين هم أعلم الناس بأسباب النزول وهم خزان علم الرسول وبهم عرف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتاب.

اللهم إلاً أن يخرجوا الشيعة وأنمتهم (عليهم السلام) من فرق الإسلام، كما أخرجوا أبا طالب، وليس ذلك عليهم بالبعيد، تلك سمة إجماعهم، وهذه حالته، وأما الأخبار التي حكى نزول الآية في أبي طالب(عليه السلام) فهي معارضة بما يسقطها عن الحجية، ذلك بما يذكره أبو المجد بن رشادة الواعظ الواسطي في كتابه أسباب النزول عن الحسن بن الفضل، من أنها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، وكان النبي يحبه، ويحب إسلامه، ويقرب ما يروى عن الحسن بن الفضل إجماع المسلمين بدون استثناء على نزول الآية التي بعد هذه الآية في الحارث نفسه، لكن انحراف القوم عن أبي طالب صرف الآية الأولى إليه، وقد روي لنزول الآية أسباب أخر لا تطيل الكلام بتعدادها، وبالجملة، فإن جهل القوم بأسباب النزول بإعراضهم عن آل الرسول، هو الذي دعاهم إلى دعوى نزول الآية في أبي طالب.  
اللهم احكم بيننا وبين الذين ظلموا عم رسولك الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) بالحق وأنت خير الحاكمين.

ومنها: قولهم إنَّ قوله تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ" (٥) نزل في أبي طالب.

وهو كما ترى فإن من لاحظ سوابق الآيات ولو احققها يرى أن الآية وما قبلها وما بعدها منزل في اليهود، والقول بخلاف ذلك يوجب تفكيك نظم الآيات وذهاب جزالتها، وهذا هو الذي ذهب إليه أبو حيان، وأشار إليه أبو السعود في تفسيره، على أن زعمهم الفاسد هو خلاف ما اتفقت عليه كلمة المفسرين كافة، فراجع تفسير الرازي والزمخشري والبيضاوي وأبي السعود والدر المنثور في التفسير بالمأثور وغيرها،



تتحقق أن ليس لنزولها في أبي طالب عين ولا أثر ولا جرم إن كانت دعواهم مجردة عن البرهان فإن  
تتكب الحق يفسد الرأي ويذهب بالروية.

ومنها: ما يروونه من أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حضر أبا طالب عند الموت، وكان عنده أبو  
جهل وعبدالله بن أمية المخزومي فقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): أي عم، قل لا إله إلا الله كلمة  
أحاج لك بها، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية أترغب عن ملة عبدالمطلب، وما زالوا يرددان القول حتى  
قال أبوطالب آخر ما كلمهم فيه، إنه على ملة عبدالمطلب ولم يقل كلمة الشهادة.

ليت شعري، كيف يصح لمحاجج أن تسكن نفسه لمثل هذه الرواية، وهي على ما هي عليه من الوهن؟ أم  
كيف يسوغ له أن يتخذها حجة بيده يصول بها على خصومه في تأييد مزعمته في حين أنه يرى في  
سلسلة رجال السند مثل إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، ونظير معمر بن راشد وكلاهما قد خفت كفتهما  
في الرواية في ميزان الذهبى؟ ولذا يقول: قال أبو عبيد الآجري: سمعت أبا داود يقول: إسحاق بن  
راهوية تغير قبل موته بخمسة أشهر، وسمعت منه في تلك الأيام فرميت به، وذكر شيخنا أبو الحجاج  
حديثاً عنه فقال: قيل إسحاق اختلط.

ويقول الميزان في معمر: معمر بن راشد له أوهام معروفة احتملت له، وقال أبو حاتم ما حدث به، معمر  
بالبصرة ففيه أغاليط، ويقطع النظر عن الجرح في رواة الرواية كما سمعت، فإن الرواية معارضة بما  
روي بأسانيد عديدة عن العباس تارة وعن أبي بكر أخرى، من أن أبا طالب مات حتى قال: لا إله إلا الله  
محمد رسول الله.

ومع مماثاة الخصم وتسليم صحة الرواية فالرواية لا تكون له، بل هي عليه، ولذا نراها لا تدل على أكثر  
من أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إنما سأل من عمه كلمة التوحيد عند الموت ليشهد له بأنها هي  
آخر عهده بالكلام، كما هو المعروف من السنة النبوية إلى اليوم من الإشهاد على التوحيد لدى الوصية  
كتباً، وطلب أهل الميت منه حال النزاع الإعراف بالوحدانية قولاً، فطلب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)  
من عمه كلمة التوحيد لذلك، لا لأنه كان يطلب منه أن يدخل في الإسلام في ذلك الحين، بل هو مسلم من  
أول يومه بيد أنه لما كان السؤال بمحضر من عتاة قريش وطواغيتها نظير أبي جهل، وكانوا يعتقدون أن  
أبا طالب على دينهم، أجمل أبو طالب الجواب، بما يوهم جبابرة قريش أنه منهم جرياً على سياسته في  
الإحتفاظ بمصلحة حضرة الرسالة (صلى الله عليه وآله وسلم)(٦) وبذلك الإجمال خفض من غلواء قريش  
على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ما أراد بالكتابة في آن واحد، فإن في قوله(صلى الله عليه وآله

وسلم) إنه على دين عبدالمطلب، مقتعاً لعتاة قريش حيث يرون أنّ عبدالمطلب منهم، وفي الوقت نفسه جواباً كنانياً عن سؤال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه أراد من قوله إني على ملة عبدالمطلب، إني مقر بالوحدانية كما هو معلوم لدى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من حال من كان على ملة عبدالمطلب، وقد أسلفنا تحت عنوان (مولده ونشأته) ما يدل على إيمان عبدالمطلب من كلمات المؤرخين وأهل السير، على أنه ثبت بالدليل القطعي إيمان عبدالمطلب وآباء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أجمع (سلام الله عليهم) وإيمانهم مما قام عليه إجماع الإمامية، وقد ذهب إلى ذلك جمع من أعلام غيرهم، وألفوا في ذلك رسائل، فراجع تأليفات السيوطي في هذا الباب إنّ أبا طالب(عليه السلام) لم يكتف بالكفاية في جواب سؤال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وإنما أجابه بها في حال الإضطرار والتقية من فراعنة قريش، وبعده لم يزل يتقرب الفرص لإجابة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) صريحاً في الأشهاد على كلمة التوحيد في أخريات كلامه في دار الدنيا، وقد جعل طلب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) نصب عينه، وهو وجود بنفسه، حتى إذا قام المشركون الألداء من المجلس – وكان في ذلك الوقت قد خفي صوته وندت ساعته – تشهد صريحاً وجعل الإعراف بالوحدانية والرسالة آخر كلامه، ويرشدنا إلى ذلك ما روي عن العباس من أنه لما تقارب من أبي طالب الموت نظر إليه العباس فرآه يحرك شفته فأصغى إليه بأذنه فسمع منه الشهادة، فقال للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يا ابن أخي: والله لقد قال الكلمة التي أمرته بها.

وقد أقر العباس شهادته تلك بعد إسلامه، حيث قال ما مات أبو طالب حتى قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وعليه فليس للخصم أن يجرح شهادة العباس، وهي قوله: يا ابن أخي والله لقد قال الكلمة التي أمرته بها بأن هذه الشهادة كانت منه حال كفره كما لا يخفى.

ومنها: حديث الضحاح وقد اشتهرت روايته عندهم، قالوا إنه قال العباس بن عبدالمطلب للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ما أغنيت عن عمك أبي طالب فوالله كان يحوطك ويغضب لك، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) هو في ضحاح(٧) من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار. وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ذكر عنده عمه يقول: لعله تناله شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحاح من نار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه، وهذا الحديث نفسه ذكر بسند آخر بزيادة كلمة واحدة حيث قالوا تغلي منه (أم) دماغه.

نرشد المطلع إلى ملاحظة سند الحديث الأول وسندي الحديث الثاني وأنذ يرى في سلسلة سند الحديث الأولى سفيان الثوري، يرويه عن عبد الملك بن عمير أما سفيان فمدلس يكتب عن الكذابين، وأما عبد الملك فيضعفه ويغلطه نظير الإمام أحمد وكفى.

يقول الذهبي في الميزان - سفيان الثوري - كان يدلس عن الضعفاء وقيل في شأنه أنه يدلس ويكتب عن الكذابين.

ويقول في عبد الملك في الميزان أيضاً - عبد الملك بن عمير القاضي في الكوفة - قد ضعفه الإمام أحمد، وقال إنه يغلط وقال ابن معين إنه مخلط، وقال ابن خرايش: كان شعبة لا يرضاه. وذكر الكوسج عن أحمد إنه ضعفه جداً، وذكره ابن الجوزي فذكر جرحه وما ذكر له تعديلاً.

ويرى أيضاً في السلسلة الأولى من سند الحديث الثاني عبد الله بن يوسف التنيسي يرويه عن الليث بن سعد، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، والثلاثة المومى إليهم لا وزن لروايتهم.

يقول الذهبي في ميزانه - عبد الله بن يوسف التنيسي - قد ذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء. ويقول في الليث - قال ابن معين - كان الليث يتساهل في الشيوخ والسماع وذكره النبأ، في تذييله على الكامل وهو كتاب في الضعفاء.

ويقول في ابن الهاد - يزيد بن عبد الله بن الهاد - أورد في باب من ذكر في جرح من رجال الموطأ. وأما السلسلة الثانية ففيها عبدالعزيز بن محمد الدراوردي يرويه عن ابن الهاد.

أما ابن الهاد فهو الذي تعرفت به آنفاً، وأما عبدالعزيز فليس لأئمة القوم وثوق في قوله. يقول في الميزان: إنَّ عبدالعزيز بن محمد الدراوردي قد قال فيه الإمام أحمد إنه إذا حدث من حفظه بيهم ليس هو بشيء وإذا حدث جاء ببواطيل، وقال فيه أبو حاتم لا يحتج بقوله.

ولو فرض أن ادعى الخصم توثيق أولئك الرواة، فالخصم محجوج بما قرر في أصول الفقه من أنَّ الترجيح في جانب الجرح كما لا يخفى، وعليه فلا مسوغ للتمسك بمثل هذه الأخبار التي أطلعت على حقيقة روايتها ومقدار مكانتهم عند أئمة القوم.

ولا من شك أنَّ إمارات إفتعال هذا الحديث تتراءى لك في أسلوبه من جهة، وفيما صح سنداً عن أهل بيت العصمة في تكذيبه من جهة أخرى.

يقول الصادق جعفر (عليه السلام): يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب؟ - أراد بالناس أعداءهم - قال يونس: جعلت فداك يقولون إنه في ضحضاح من نار تغلي منه أم رأسه، فقال (عليه السلام): كذب أعداء الله، إنَّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ويقول الباقر محمد (عليه السلام) عندما سئل عما يقول الناس في أبي طالب وإنه في ضحضاح من نار: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه، ثم قال: ألم يعلموا أنَّ أمير المؤمنين كان يأمر أن يحج عن عبدالله وأبي طالب في حياته وأوصى

**في وصيته بالحج عنهما؟ وهذا الخبر نفسه يروى بسند صحيح عن الصادق (عليه السلام) أيضاً.**

ويقول زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) وقد سئل عن حديث الضحضاح: واعجبا إنَّ الله تعالى نهى رسول الله أن يقر مسلمة على تكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام ولم تنزل تحت أبي طالب حتى مات.

وحاشا أهل بيت العصمة أن يجرهم التعصب لوالدهم فيقولون فيه ما ليس له، فإنهم عدل القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بنص السنَّة المقدسة b إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي v فهم كالقرآن منزهون عن الزلل والخلل، وهم المطهرون عن الأرجاس في محكم التبيان.

ومنها: ما يروونه عن سفيان بن عيينة عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب.

يقول ناجية: قال علي (عليه السلام): أتيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت إنَّ عمك الشيخ الضال قد مات، يعني أباه فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): اذهب فواره، الحديث.

قبل كل شيء يلزمنا أن ننظر في رجال السند الثلاثة ليكون المطلع على بصيرة من أمرهم ثم توكل الحكم في قبول هذه الرواية وعدمه إليه.

أما ابن عيينة سفيان، فهو مدلس كما في الميزان، وأما عمرو بن عبدالله أبو إسحاق السبيعي فهو من محدثي السوء، وشيوخ الرشا الذين يتقاضون من معاوية الراتب الشهري على اختلاق الأحاديث تأييداً لسلطانه وإرغاماً لأنوف آل أبي طالب.

يقول الذهبي في الميزان: يتقاضى أبو إسحاق السبيعي من معاوية في الشهر ثلاثمائة، ويقول: روى ابن جرير عن مغيرة أنه ما أفسد حديث أهل الكوفة غير أبي إسحاق، هذا هو الذي يلزم الخصم بطرح رواية

أبي إسحاق، ونحن نستلقت القراء علاوة على ما تقدم إلى خصوص ما يرويه سفيان بن عيينة عن أبي إسحاق ليكونوا على بصيرة من أمر هذه الرواية، ذلك بما يحكيه في الميزان عن الفسوي. يقول الذهبي: قال ابن عيينة - يعني سفيان - حدثنا أبو إسحاق في المسجد وليس معنا ثالث، فقال الفسوي يقول بعض أهل العلم كان قد اختلط أبو إسحاق وإنما تركوه مع ابن عيينة لاختلاطه.

وبتعبير أوضح إنَّ القوم لم يأخذوا بما يروى عن أبي إسحاق، من طريق ابن عيينة لأخذه عنه حال اختلاطه ليس إلا ويشهد لذلك أن مولد ابن عيينة سنة ١٠٨ ووفاة أبي إسحاق كانت في سنة ١٢٩، وقيل كانت قبل ذلك، وبهذا التقريب تستنتج أن ابن عيينة لم يدرك أبا إسحاق إلا في أيام اختلاطه.

وإليك حلية ناجية بن كعب، يقول الذهبي في الميزان: نوقف ابن حبان في توثيقه، وقال الجوزجاني في الضعفاء هو مذموم، وقال ابن المدين لا أعلم أنَّ أحدًا حدث عن ناجية بن كعب سوى أبي إسحاق وأبو إسحاق هو ذلك المستأجر الذي تعرفت به آنفًا.

هذه حال رجال السند، وزد على ذلك أنَّ الرواية معارضة بما أخرجه ابن عساكر عن علي (عليه السلام) قال (عليه السلام): أخبرت النبي بموت أبي طالب فبكى وقال: إذهب فغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه.

ومنها: ما يقال من أنَّ علياً (عليه السلام) وجعفرًا لم يأخذا من تركة أبي طالب.

يقولون: وذلك آية ما ندعيه لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا توارث بين أهل ملتين، وفي ذلك ما لا يخفى، فإنه لو سلم لهم المدعى - والعياذ بالله - فهو لا يستدعي أن لا يأخذ علي (عليه السلام) وجعفر من تركة أبي طالب، فإن من ضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام) أن المسلم يرث الكافر، ولا يرث الكافر المسلم، وهذا هو معنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا توارث بين أهل ملتين)، ليس إلا، لأنَّ التوارث تفاعل والتفاعل لا يحصل إلا من طرفين، فإذا ورث طرف دون الآخر لم يتحقق التوارث، وعليه فعدم أخذهما (عليهما السلام) من تركة أبيهما لا دلالة فيه على ما يدعون.

ومنها: ما ينقل من أنَّ أبا طالب لم ينقل عنه أنه صلى، والصلاة هي التي تميز المؤمن عن غيره.

يقول ابن أبي الحديد في الجواب عن هذه الشبهة: يجوز أن يكون لأنَّ الصلاة لم تكن بعد قد فرضت، وإنما كانت نفلًا غير واجب فمن شاء صلى، ومن شاء ترك ولم تفرض الصلاة إلا بالمدينة، انتهى.

على أن عدم النقل لا يدل على عدم حصول الصلاة، سيما لمثل أبي طالب الذي كان يتستر بمثل الصلاة ونحوها من الشعائر الإسلامية بلحاظ سياسته مع القوم، واحتفاظاً بمركزه في نفوس الكفرة لمصلحة الإسلام.

ومهما يكن من شيء فما كان في الحساب أن مثل ابن أبي الحديد يحيد عن جادة الاعتدال، فيتوقف في إيمان أبي طالب بعد أن سرد في الفصل نفسه ما يوضح له المحجة من شعره الصريح في إيمانه، ومما ورد فيه من الأخبار الشاهدة له بذلك.

يقول الفاضل المعتزلي(٨): وتقف في صدري رسالة النفس الزكية(٩) الى المنصور وقوله فيها: أنا ابن خير الأخيار، وأنا ابن شر الأشرار، وأنا ابن سيد أهل الجنة، وأنا ابن سيد أهل النار، فإن هذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر، وهو ابنه وغير متهم عليه وعهده قريب من عهد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً، وجملة الأمر أنه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة، وروي في موته على دين قومه أخبار كثيرة فتعارض الجرح والتعديل فكان كتعارض البيهقيين عند الحاكم، وذلك يقتضي التوقف، فأنا في أمره من المتوقفين، انتهى.

أنت ترى أن توقفه هذا إنما هو لتوقف هذه الرسالة في صدره - كما لا يخفى على من عرف لحن القول وفصل الخطاب - عندما نجدعه يطنب في تغريب اعتبار الرسالة ، فإن هذه شهادة منه على أبيه، وهو ابنه وغير متهم عليه الخ الخ - لكن الفاضل المعتزلي لأمر ما تترس بتعارض الأخبار للتوقف، فارتجل ذلك التخلص حيث قال: وجملة الأمر أنه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة وفي موته على دين قومه أخبار كثيرة، إلى أن قال: فأنا في ذلك من المتوقفين.

أما الأخبار فلا تعارض بينها لبداهة أن التعارض فرع التكافؤ، وأخبار الباب غير متكافئة، فإن ما يرويه الخصم أمر تفرد به على ما فيه من علات وهنات وضعف، وبعد لوجوه أسلفناها لك فيما تقدم، وأخبار كهذه لا تصلح لمعارضة أخبار يرويها الفريقان في إيمانه (عليه السلام) وفوق هذا هي معتضدة بإجماع أهل البيت(عليهم السلام) على وفقها.

وأما الأسطورة المنسوبة إلى النفس الزكية فليت ابن أبي الحديد تنبه إلى البحث عن رايها، وهل هو سوى عثمان بن سعيد بن سعد المدني؟ كلا، ثم كلا، وهذا سعيد من مجاهيل الرواة، وعليه فلا ندحة عن سقوط هذه الرسالة من صدر أمثال ابن أبي الحديد إلى حيث مستقرها، وليس له أو لغيره إلا أن يحشرها محشر الأساطير.

إنَّ صاحب الوجدان يكاد أن يقتنع جداً بوضع الرسالة كلاً أو بعضاً لأول نظرة فيها بروية، حيث يجد هذه الفقرة (وأنا ابن شر الأشرار) لا تكاد تصدر عن مثل محمد صاحب النفس في حق مثل أبي طالب، وإن سألت عن السبب في ذلك قلنا لك: إنَّ محمداً ذا النفس كان يدعي الخلافة، وينازع من سواه في أمرها وكان الناس في عصره لا يشكون في أنه هو المهدي، ومن كانت له هذه الشخصية وكانت الثقة فيه عامة يستبعد منه جداً أن يسجل على نفسه بقلمه عند عدوه الألد هذا الكذب الصريح، (وأنا ابن شر الأشرار) لأن معنى ذلك هو أن أبا طالب لا أشر منه في عصره أو في قومه، وذلك قول تأباه الحقيقة، حتى لو فرض محالاً أن أبا طالب مات على دين قومه، حيث لا نجد أحداً من سائر الملل والنحل يقول إنَّه كان أسوأ حالاً من أبي لهب، أو أشر من أبي جهل وأضرابهما، في الوقت الذي يرى أن شر أبي جهل قد طبق الأرض في الطول والعرض، وخير أبي طالب وسوقه كل جميل وبذله كل عناية، ولحاظه كل رعاية لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وللإسلام عامة، لا يجله ابن أنثى، وعليه كيف يجوز للعاقل أن يظن صدور مثل هذا من ذي النفس وهو في ذلك المقام الملوء حماساً وافتخاراً؟ وليت شعري أي فخر يبقى لصاحب النفس وهو ابن شر الأشرار؟ وهل يفخر بمثل هذا سوى أحمق مدخول العقل؟

أيها الفاضل، فلنضرب صفحاً عن ذلك كله، ولنسلم لك صدور الرسالة عن النفس، بيد أنه لنا أن نسأل: بأيّ الدلالات فهمت أنا لمعنى بشر الأشرار أبو طالب؟ وهل كان في الفقرة تصريح أو ظهور أوجب انصرافها إليه؟ اللهم لا، إلا من طريق التخرص، وإذا أرجعنا تعيين مداليل الألفاظ إلى التخرص، فلماذا لم يكن المعنى بشر الأشرار هو طلحة بن عبيدالله فإنَّ طلحة هذا والد أم إسحاق، وهي جدة صاب النفس؟؟؟ ولماذا لم يكن المعنى بالفقرة عبدالعزيز جده لأمه، فإنَّ أم صاحب النفس هند بنت أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزيز، وهذا عبدالعزيز من مشيخة كفرة قريش في زمانه؟؟؟ وبالوجدان أن الإنتساب إلى آباء الأب والأم كليهما أبلغ في مقام الافتخار من الإنتساب إلى آباء أحدهما، وهل الخرص بإرادة أبي طالب من تلك الجملة إلا كالخرص بإرادة طلحة وعبازعزى منها؟ إذاً، فأبي قرينة عينته دونهما؟ أجيّبونا يا منصفون!

وهنا نناقش ابن أبي الحديد الحساب على ما بقي من شطط كلامه وغلطه الواضح في مرامه، أتقف في صدره شهادة النفس الوهمية معللاً ذلك بأن الشهادة هذه من ابنه، ولا تقف في صدره شهادة ابنه الصلبي وهو أفضل من صاحب النفس وأجل وأعلى منزلة منه ومحلاً في نفوس الأمة بجملتها وقولاً واحداً؟

يقول أمير المؤمنين علي(عليه السلام): ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من نفسه الرضا، ويقول(عليه السلام): والذي بعث محمداً بالحق نبياً إنَّ أبي لو شفع في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله.

وبديهي أن باب مدينة العلم(عليه السلام) أعرف بوالده، فإنه رآه وعاشه زمناً طويلاً، فوقف على حقيقة أمره، ومحمد صاحب النفس لم يره هو ولا أبوه ولا جده بل ولا أبو جده.

تقف في صدره الأسطورة ولا تقف في صدره شهادة الأئمة زين العابدين والصادقين الباقرين محمد وجعفر(عليهم السلام) وقد تقدمت شهاداتهم(عليهم السلام) آنفاً في درء شبهة حديث الضحاح، فراجع. وأنت يا رعاك الله تعالى، إذا وقفت على قوله في تقريب صحة الأسطورة (وعهده قريب من عهد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً) ترى العجب، فإن من البين جلياً أنه لو كان المناط في وضع الأحاديث هو طول العهد عن عهد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لما وضعت ملايين الأخبار في زمن ابن أبي سفيان كما اعترف به ابن أبي الحديد المعتزلي نفسه، فراجع ما نقلناه عنه آنفاً تحت العنوان الرابع عشر، وكان افتعال الأخبار في زمن العباسيين بناء على قاعدته التي ضربها أولى وأجلى.

إنَّ بعض متادبي هذا العصر ينظم ابن أبي الحديد في سلك الإمامية، وأنت ترى في إعراضه عما ورد عن أئمتهم صحيحاً في إيمان أبي طالب وف ي اختياره التوقف في أمره أكبر شاهد على فساد رأي ذلك المتأدب، وخير دليل على مواربة ابن أبي الحديد لأبي طالب وآل أبي طالب وشيعتهم. وعلى أي حال فإننا لو أردنا مماشاة ابن أبي الحديد في الموافقة على ما يرتنيه من التعارض بين طائف تي الأخبار، فإننا لا يسعنا أن نقف معه حيث وقف في إيمان أبي طالب لأن اكتشاف الحقيقة وتعرف الواقع غير منحصر في السنة، وإلا لظل وقوفنا في كثير من الأحكام لدى التعارض.

هذا كتاب الله وهو الحجة القاطعة لكل خصام لدى كل مسلم يهتف بنا قائلاً: "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ

السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا" (١٠). ومن المعلوم أن المراد بالسلم في الآية هو السلام، وكلاهما بمعنى

الإستسلام، كما نص على ذلك الزمخشري في كشافه، فهو نظير قوله تعالى: "وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ

السَّلَامَ" (١١)، أي أنهم استسلموا للأمر وانقادوا إليه.



وإذا رجعت إلى شعر أبي طالب محلاً منه نفسيته، ومستكشفاً منه ميله وهواه، لوجدته أصدق شاهد على استسلام شيخ الأبطح وانقياده إلى هذا الدين، بل لوجدت روح الإيمان الصادق تتجلى لك من خلال أبياته، وتلوح لعينيك ظاهرة بين فجواته ومنعرجاته، هذا شيخ الأبطح ينشد بملء فيه منادياً:

يا شاهد الله عليّ فاشهد\*\*\* إنّي على دين النبي أحمد

من ضل في الدين فإني مهتدي

حقاً، إن لم يكن هذا صريحاً في الإيمان فلا أقل إنه صريح في القاء السلم كما لا يخفى.

وإلا فما الذي حدا أمنع الناس داراً، وأعزهم جواراً أن يهتف بهذا النداء، ويشهد شاهد الله على ما يقول سوى الإنقياد لمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم).

بهذا ونحوه يلزمك الكتاب المجيد بالإعتراف في إيمان أبي طالب ولا يدع لك مجالاً للتوقف فيه، وهذا كله على التنازل مع ابن أبي الحديد وإلا فهناك صفحة من نفسية أبي طالب تقرأ فيها توحيده للخالق، وإيمانه بالمبدأ والمعاد، وإقراره بالعبودية له تعالى.

يقول أبو طالب:

ملك الناس ليس له شريك\*\*\* هو الوهاب والمبدي المعيد

ومن تحت السماء له بحق\*\*\*ومن فوق السماء له عبيد

وهناك الصفحة الأخرى في بيتين له آخرين تتلو فيها إقراره برسالة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) من لدن جبار السموات والأرض:

نصرت الرسول رسول المليك\*\*\* ببيض تلالا كلمع البروق

أذّب وأحمي رسول الإله\*\*\* حماية حام عليه شفيق

هذه الأبيات الأربع تكفلت بتحليل نفسيته فصورته لنا موحداً مؤمناً بالله ورسوله واليوم الآخر.

واليك أيضاً ما يدلّك صريحاً على إيمانه بكتاب الله المنزل على نبيه المرسل حيث يقول:

أنت الرسول رسول الله نعلمه\*\*\* عليه نزل من ذي العزة الكتب

ففي هذه الأبيات ما يكفي لإفلاج حجة الخصم، وإقامة الحجة عليه فيما تمحل له من التشكيك في إيمان شيخ الأبطح، سيما وأن الإيمان عند الخصم لا يتوقف على لفظ خاص كقول(لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) بل إنّ المعروف من طريقتة إثبات الإيمان بكل لفظ يدل على الشهادة بالتوحيد والرسالة، وإن لم يكن بتلك الصيغة الخاصة، بل وإن لم يكن باللغة العربية، كما يرشدك إلى ذلك ما حكاه العلامة الدحلاني في

اسناه ص ٥ نقلاً عن السيد محمد البرزنجي، قال: ثم ليعلم أن المراد بالنطق بالشهادتين ليس النطق بخصوصها كما ذكر النووي في الروضة، ونسبه إلى الجميع، فنقل عن الحلبي في منهاجه أنه لا خلاف أن الإيمان ينعقد بغير القول المعروف، وهو كلمة لا إله إلا الله، حتى لو قال لا إله إلا الرحمن، أو إلا الرحيم، أو ما من إله إلا الله، وكذا لو قال محمد نبي الله، أو مبعوثه أو أحمد مبعوثه، أو غير ذلك أو ما يؤدي ذلك باللغات العجمية صح إسلامه وحكم بكونه مسلماً، انتهى.

ومن هنا يمكنك أن تستنتج أن القوم لا يفرقون في الإقرار بالشهادتين بين النظم والنثر كما هو الحق. إن شعر أبي طالب في هذا الباب كثير وكثير جداً، فمن ذلك قوله:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب\*\*\*لدينا ولا نعبا بقول الأباطل

وقوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً\*\*\*نبياً كموسى صح ذلك في الكتب

وقوله:

أنت ابن أمانة النبي محمد\*\*\*عندي بمثل منازل الأولاد

وقوله:

والله لا أخذل النبي ولا\*\*\*يخذه من بني ذو حسب

وقوله:

نبي أتاه الوحي من عند ربه\*\*\*ومن قال لا يقرع بها سنّ نادم

وقوله:

أنت النبي محمد\*\*\*قرم أعر مسود

وقوله:

ألا إن أحمد قد جاءهم\*\*\*بحق ولم يأتهم بالكذب

وقوله في أبيات:

أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب\*\*\*على نبي كموسى أو كذي النون

وقوله يخاطب النجاشي كتباً:

أتعلم ملك الحبش أن محمداً\*\*\*نبي كموسى والمسيح بن مريم؟

أتى بهدى مثل الذي أتيا به\*\*\*وكل بأمر الله يهدي ويعصم(١٢)

وإنكم تتلونونه في كتابكم\*\*\*بصدق حديث لا حديث الترجم

فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا\*\*\*وإنّ طريق الحق ليس بمظلم

يدين أبو طالب بدين الحق، ويعترف لدى محكمة الضمير بأن محمداً كموسى وكالمسيح بن مريم قد صدع بأمر الله تعالى، يهدي إلى الصراط السوي، يدين بذلك كله عن اجتهاد ومعرفة، ولذا أهل نفسه لأن يكون كمبشر ديني، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويدعم الدعوى بالحجة، ففي أول كلامه مع ملك الحبشة استعلم حاله، فقال: أتعلم أنّ محمداً كموسى والمسيح؟ ولما كان ذلك دعوى مجردة والدعوى لا تقبل بدون برهان، وسيما مثل هذه الدعوى، أدلى بحجته في البيت الثالث فقال له: أيها الملك إنكم أهل دين، وكتاب سماوي، وكتابكم هذا أكبر شاهد على ما أقول في شأن محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وها أنتم تتلونونه في المساء وفي البكور، ذلك الكتاب الذي لا ريب في صدق حديثه عنكم، وبعد أن ألزمه الحجة دعاه إلى الطريق اللابح فقال: ولا تجعلوا لله نداً، البيت.

وقوله يخاطب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم):

والله لن يصلوا إليك بجمعهم\*\*\*حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك مخافة\*\*\*وابشر بذاك وقر منك عيوننا

ودعوتني وعلمت أنك صادق\*\*\*ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

ولقد علمت بأن دين محمد\*\*\*من خير أديان البرية دينا

يبتدئ أبو طالب كلامه مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بيمين الإخلاص لعرش النبوة بحماس شديد: والله لن يصلوا إليك بجمعهم، البيت، ثم يطلب منه(صلى الله عليه وآله وسلم) نشر لواء النبوة على ربوع الحجاز (فاصدع بأمرك) ويشجعه على ذلك طوراً بنفي المخافة، وتارة بتعهده بذلك (وابشر بذاك وقر منك عيوننا) ثم يجيب نداء المبعوث بالحق للخلق كافة، فيشهد عن علم جازم ويقين ثابت بأن دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خير دين أخرج للناس (ودعوتني وعلمت أنك صادق) إلى آخر البيتين.

إنّ فيما ذكرناه من منظومه في هذا الباب ما يميّط جلباب الظلام عن وجه هذه المشكلة، ولنن شكك مشكك في بعض ما نقلناه من المنظوم، ففيما صحت روايته عنه(عليه السلام) عند الفريقين كفاية، وقد ذكرنا تحت عنوان شعره ما صحت روايته عند الجميع فراجع.

الهوامش:

(١) التوبة: ١١٣.

(٢) التوبة: ١١٣.

(٣) التوبة: ١١٤.

(٤) القصص: ٥٥.

(٥) البقرة: ١١٩.

(٦) يشهد لنا في اتخاذ أبي طالب (عليه السلام) هذه السياسة ما صح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ان أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر، فأتاهم الله أجرهم مرتين، وإنّ أبا طالب أسر الإيمان، وأظهر الشرك فاتاه الله أجره مرتين، وإلى هذه السياسة يشير العلامة السيد علي خان في البيت الخامس من مقطوعته هذه:

أبو طالب عم النبي محمد\*\*\* به قام أزر الدين واشتد كاهله

ويكفيه فخراً في المفاخر أنه\*\*\* موازره دون الآنام وكافله

لقد جهلت قوم عظيم مقامه\*\*\* فما ضر ضوء الصبح من هو جاهله

ولولاه ما قامت لأحمد دعوة\*\*\* ولا انجاب ليل الغي وانزاح باطله

أقر بدين الله سرّاً لحكمة\*\*\* فقال عدو الحق ما هو قائله

وماذا عليه وهو في الدين هضبة\*\*\* إذا عصفت من ذي العناد أباطله

وكيف يحل الذم ساحة ماجد\*\*\* أو اخره محمودة وأوائله

عليه سلام الله ما ذر شارق\*\*\* وما تليت أحسابه وفضائله

ترى هذه الأبيات في ديوانه وفي الدرجات الرفيعة أيضاً.

(٧) الضحاح: مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين فاستعير للنار.

(٨) شرح النهج ٣: ٣١٧.

(٩) هو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن السبط (عليه السلام).

(١٠) النساء: ٩٤.

(١١) النحل: ٨٧.

(١٢) كذا.

## كلمة الختام

### تستوضح فيها تحامل القوم على أبي طالب

طالما حملنا الخصم على أحسن المحامل وانتحلنا له أعذاراً بقدر الإمكان، حتى لم يبق في القوس منزع، ولا للحمل على الصحة موضع ذلك لما نشاهده من اختلاف أحواله وتناقض أطواره.

يتشبهت بما هو أوهى من بيت العنكبوت، وبأخبار حلية ليثبت النجاة تارة والإيمان أخرى لكل قاسط عاهر، ومارق ماكر، وفاجر كافر، فإذا ذكرت له أبا طالب انعكست القضية، وتغير المنحى، وانقلب الأمر رأساً على عقب، ولذا تراه يستمسك بأخبار الضعاف والكذبة لاثبات كفره والعياذ بالله، ويرشدك إلى ما نقول ما في ضياء العالمين.

يقول المحقق الفتوني صاحب الضياء: ذهب جمع إلى أنّ قاتل عمّار بن ياسر في الجنة، ذلك لأنّ رجلاً رآهما معاً في الجنة، في حين أن النص الصحيح الصريح عندنا وعندهم قد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلًا: إنّ قاتل عمّار في النار، وبتلك النعمة جاءنا جمع منهم أيضاً فقالوا: إنّ قتلى القاسطين في صفين، وقتلى المارقين في النهروان في الجنة، ذلك لرؤيا رآها شرحبيل بن السمط عامل معاوية حمص وشريك بسر بن أرطاة وأبي الأعور السلمي في أعمالهما ومناكيرهما في توطيد دعائم ملك معاوية وقد ذكر ذلك الإستيعاب في ترجمة شرحبيل، وهذا القدر يكفي في تعريف شرحبيل.

يقولون قال شرحبيل: رأيت في المنام عمّار بن ياسر وذو الكلاع - الذي قتله أصحاب علي (عليه السلام) - في ثياب بيض في أفنية الجنة، فقلت ألم يقتل بعضكم بعضاً؟ فقالوا بلى، ولكن وجدنا الله واسع المغفرة، فقلت: ما فعل أهل النهروان؟ - يعني الخوارج - فقيل لي لقوا ترجأة.

ولقد أغرب فريق منهم، فذهب إلى إيمان فرعون، حيث قال وقد أدركه الغرق: "آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ" (١) والحال إنّ صريح القرآن يردده: "الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" (٢).

ومن ذلك قولهم إنّ حاتم الطائي يدخل النار لكفره، لكن لا يعذب مطلقاً لجوده، وإن كسرى أنوشروان لا يعذب لعدله.

هذا هو المعروف من حالهم، فإذا عرجت بهم على أبي طالب قالوا: هو في ضحضاح من نار تغلي منه أم رأسه، يا سبحان الله، أترى أن كسرى ينفعه عدله، وحاتم يدفع عنه العذاب جوده، ولا تنفع أبا طالب

قربته القريبة من الشفيح محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يغني عنه جهاده بين يديه، وذبه عنه،  
وتعريضه أولاده للقتل دونه، ومدانحه له ونعماؤه عليه مدة حياته ووو، إلى آخر ما هنالك؟  
وليت شعري كيف يكون أبو طالب والحالة هذه أسوأ حالاً من حاتم وكسرى، في حين أنّ لكل واحد منهما  
خصلة واحدة نظير العدل والجود مثلاً تكفل النجاة حسب المدعى، ولا يكون نظير ذلك لأبي طالب، وهو  
الذي له الخصال الحميدة التي لا تحصى؟ أترى يجوز عقلاً أو ينطبق على قاعدة منطقاً، أن يكون أبو  
طالب طول حياته مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على حالته التي عرفتھا، من جلاذ وجهاد باليد  
والقلب واللسان، وبذل كل عدة وعتاد بين يديه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم تكون نتيجة أعماله هذه  
مع النبي الكريم أن يترقب فرصة موت ذلك العم البار ليجمع أجر إحسانه وجزاء بره وحنانه ذمه وقده  
من جملة سنته، يخبر الناس تارة أنه جمرة من جمرات جهنم، وطوراً في ضحضاح من نار تغلي منه أم  
دماغه إلى غير ذلك؟

هبوا أنّ أبا طالب - والعياذ بالله - كما تزعمون، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ بأي آلاء أبي طالب  
تكذبان؟

أين أداء حق أبي طالب، أين أجر حياضته؟ أين ذكر مودته؟ أين وضع ذلك كله؟ أبو طالب، أتراه وضعه  
في غير محله، فذهب أدراج الرياح، وجوزي بالسوأى عن الإحسان، كلا، ثم كلا.  
أليس النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) هو القائل: لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات؟ ولما أخبرته بنت أبي  
لهب أنّ الناس يقولون لها بنت حطب النار قام مغضباً قال(٣): ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي؟ من أذى  
قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد أذى الله تعالى، أفكان أبو طالب أشد من أبي لهب فغضب النبي لأبي  
لهب لقول الناس فيه حطب النار، ولا يتحاشى هو من أن يحدث الناس بأن أبا طالب جمرة من جمرات  
جهنم؟ أو كانت بنت أبي لهب إير على أبيها من علي(عليه السلام) وجعفر وعقيل، أو كانت هي أجل منهم  
وأعز مكانة عند النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)؟

أيها الخصوم، لم نر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالغ في نَم أحد من مردة قريش وكفرتها بعد موت  
أحدهم، حتى الأعداء الألداء الذين حاربوه وأفجعوه بجملة من ذوي رحمه، إذأ، فما قولكم فيما تدعونه  
وتروونه عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من الذم والطعن في أبي طالب ولست أدري كيف صارت  
محامد أبي طالب أسوأ حالاً من مخازي كفره قريش، وعليه فما أنا أستفتي الخصوم في ذلك، فما يقولون؟

وأعجب ما رأيته من الخصوم تظاهروا في المراوغة عن طريق الحق، نذكر لهم مغامرة معاوية في الدين، وولوغه في دماء المسلمين، وقيامه على علي(عليه السلام) ظالماً له، ونذكرهم ببوانق يزيد واحداً في الدين، وتهتكه بمرأى ومسمع من كافة المسلمين، فيقولون إن تلك الأحوال غابت عنا، وبعدت أخبارها عن حقائقها، فلا يليق بنا أن نخوض في دقائق أمور الملك وأحوال بني عمه، لكن هلم فاسمع اللغظ والغلط والهرج والبهتان وتسطير الأساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان، عندما تلقى عليهم طرفاً من المذاكرة في شأن أبي طالب عم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أو شأن والده(صلى الله عليه وآله وسلم) أو أمه، حيث ترى منهم من يقول ماتوا كفاراً، وآخرين يقولون أولئك جمرات جهنم، وأحدهم يقول: أبو طالب مات على الكفر والضلالة، وآخر يقول: نعم أبو طالب في ضحاح من نار، وآخر ينادي: رسالة النفس رسالة النفس تشهد بكفره، وهكذا تأتي نعماتهم متساوية التوقيع على أوتار الأهواء.

في هذا المقام أعرضوا عن قاعدتهم التي ضربوها - قبح الخوض في دقائق أمور الملك وأحوال ذوي رحمته - هكذا نرى منهم التناقض في القول والعمل والمراوغة البينة بدون حجل.

أيقبح من الرعية الخوض في أحوال أبناء عم الملك الذين ما زالوا مذ كانوا يبيعون الغوائل، ويريدون النوازل في الملك، ويعملون ليلهم ونهارهم على محق قانونه من أصله، لا يقبح الخوض في أحوال والد الملك ووالدته وعمه الذي بذل كل ما في وسعه في حماية الملك من أعدائه، وسعى سعيه الذي به انتشر قانونه في الآفاق؟ نعوذ بالله من سبات العقل واتباع الهوى.

وخذ لك مثلاً، حب البعض منهم البقاء على الجهل مشياً مع سياستهم الزمنية، لتعلم أن القوم بجملتهم صنوفهم في معزل عن الحقيقة، ذلك ما حصل للوزير يحيى بن هبيرة مع أبي الفوارس، يقول أبو الفوارس الشاعر: حضرت مجلس الوزير يحيى بن هبيرة، ومعى يومئذ جماعة من الأمثال، وأهل العلم منهم الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي، وأبو محمد الخشاب اللغوي، وغيرهما فجرى حديث شعر أبي طالب فقال الوزير: ما أحسن شعره لو كان صدر عن إيمان! فقلت له: يا مولاي، ومن أين لك إنه لم يصدر عن إيمان؟ فقال: لو صدر عن إيمان لكان أظهره ولم يخفه، فقلت: لو أظهره لم يكن للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ناصر، فسكت ولم يجز جواباً، وإن لي عليه رسوم فقطعها من ذلك اليوم، وكان لي فيه مدائح مسودات فغسلتها جميعاً.

انظر إلى حالة معالي الوزير، وإلى حبه البقاء على الجهل، حيث لم يرتض الجواب، بل سكت واجماً مضمراً لأبي الفوارس السوء كما فعل، فلو أنه أراد الحقيقة لأفسح لأبي الفوارس المجال في الكلام، ولتبادلاه ملياً، لأكثره فيه البحث والتنقيب كلما لم يقتنع حتى يقع على كيد الحقيقة، فإنها بنت البحث، لكن ما العمل "أَنْزِمُكُمْوَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ" (٤)، فاتنا الله وإننا إليه راجعون.

هذا ما أردنا بيانه وقد تم تسويده في النجف الأشرف على مشرفها آلاف التحية والسلام في السادس من ربيع الأول عصر الجمعة سنة ١٣٤٩ هـ على يد مؤلفه الفقير إلى مغفرة ربه الغني محمد علي شرف الدين الموسوي العاملي غفر الله له ولوالديه، والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله الأطيبين، وسلم تسليماً كثيراً.

الهوامش:

(١) يونس: ٩٠.

(٢) يونس: ٩١.

(٣) رواه الطبراني والبيهقي، الأسنى: ٢٣.

(٤) هود: ٢٨.



## الكتاب والكاتب



١٠٩

## تقريظ

بقلم العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم

هذا الكتاب، خير كتاب الف في هذا الموضوع، حلل نفسية شيخ الأبطح أبي طالب (عليه السلام) وبين ما له من الفضل وكبير القدر في جميع أدوار حياته، وبحق ظهر للوجود وحيداً في بابيه، تاريخياً فلسفياً علمياً، جيد التوبيب والترتيب، مفرغاً في قالب بديع متين، واسلوب جذاب، وألفاظ قوية بليغة، أثبت إيمان أبي طالب (عليه السلام) وإسلامه بأدلة قطعت الخصام، وبراهين سطعت فأماطت عن وجه الحقيقة سترة الظلام، ولذا لم يمض على طبعه أكثر من شهر واحد حتى انتشر في الأقطار الإسلامية جمعاء، وبعد مضي خمسة أشهر من تاريخ طبعه ترجمه في لكهنوى احدى حواضر الهند الكبرى، العالم الفاضل السيد جعفر مهدي إلى اللغة الهندية الأوردية ونشره بتلك اللغة أيضاً أولاً في الجزء ٨ و ٩ و ١٠ من المجلد الخامس من مجلة (سهيل يمن) ثم طبعه ثانياً مستقلاً. وتقديراً لجهود مؤلفه الجليل أتيت بكلمتي هذه كما قدر جهوده قبلي جمهور من الأماثل، فقد اطلعت على الكتب التي جاءت للمؤلف من الأقطار في اطراء كتابه وهي كثيرة، وفيها التقارير القيمة من العلماء الأعلام ومن ملوك الإسلام منهم من آتاه الله من فضله العلم والملك، وجمع له بين السلطتين الدينية والزمنية عاهل اليمن الإمام يحيى خلد الله ملكه، واما تقارير الصحف في العراق وسوريا ومصر، فقد كانت حافلة بالشكر والتثناء والمدح والاطراء، كثر الله من رجال العلم والعمل أمثال السيد المؤلف ولا حرم العالم الإسلامي من ثمرات جهوده، وجزاه عن حبره أبي طالب وعن الحقيقة خير جزاء المحسنين.

## المؤلف في سطور

### مراحل من حياة المؤلف

ولد السيد محمد علي شر الدين - نور الله ضريحه - ليلة السابع عشر من رجب ١٣١٧ هـ ١٩٠٠ في النجف الأشرف المهاجر العلمي لآية الله والده مد الله بعمره الشريف وكان الفقيد في الخامسة من عمره يوم عاد أبوه أبو الأمة إلى الوطن، وذلك في جمادى الثانية سنة ١٣٢٢ هـ ١٩٠٥ م.

وكانت مخالنه، منذ فجره تدل منه على عبقرية وتشير فيه إلى تفوق فقد كان صباحاً حافلاً بمظاهر من النشاط العقلي يؤكد رجولة الصبي الطالع ويلف حوله الأصدقاء والمعجبين، درس على أبيه العلوم العربية فكان المثل في النضج والهضم، والعمق والدقة والاعتدال، ومما يذكر في هذا الصدد أن تحصيله الأول لفت نظر الطلبة والأساتذة يوم اتصل بهم في أوساط الكاظمية والنجف العلمية العليا، على أن موهبته العلمية التي نصف لم تُضعف من مواهبه العلمية، بل كانت تصقل كفاءته المختلفة التي تولف شخصية قوية اعمدها الحرية والخير والذكاء والطموح ففي صباحه نجد إلى جانب ثقافته العربية مشاركة في الأحداث السياسية مستندة إلى تفكير عقائدي اصلاحي وفق ما تتطلبه تلك الفترة وبقدر ما يسمح به ذلك العهد. ثم نجد انه عانى التجارة كي يستجد الثروة التي تمهد له أسباب العمل واننا لنلاحظ - بوجه خاص وظاهر - اخلاصه المشدود إلى الاتقان في كل اتجاهاته، فهو يخلص لدرسه ولعمله في الحقل العام، ولتجارته - يوم اتجر - يخلص لكل أمر من هذه الأمور على حدة، كأنه خلق له وحده.

هذه جملة ما شغل به خلال خمس عشرة سنة، تبتدئ من الخامسة من عمره حتى العشرين، لم يغفل منه سوى الإشارة إلى انه اشتغل في التعليم، إذ عين مدرساً رسمياً في العهد التركي.

وفي ربيع الأول ١٣٣٧ هـ ١٩٢٠ م هاجر إلى العراق لطلب العلم، بسبعين ليرة ذهبية كان وفرها من تجارته.

وكانه كان والأحداث المبدعة على موعد، إذ التهمت ثورة العشرين في العراق وكان من أعلامها سماحة الصدر، بل كان علم أعلامها في وادي دجلة، وإذا علمنا قريبي الفقيد من سماحة الزعيم نسباً وعقيدة، انكشفت هذه المرحلة عن صفحة غنية من حياة الفقيد العزيز نقرأ فيها تمرسه بالثورة تمرساً ينمي نزعة الإصلاحية ويغذي طموحه الرسولي، فقد كان يرافق سماحة الصدر إلى تلك المهرجانات الشعبية التي يعرفها تاريخ بغداد الحديث، وما كان أثرها ضعيفاً في نفس الشاب الوثابة، وحسه المرهف، بل كان

تفجيراً لطافته، وإذكاء لعزائمه وبينما كانت هذه التجارب تبلور نظرتة إلى الحياة، كانت معاناته للدرس تشحذ ذهنه وتدفعه دفعاً سريعاً قوياً نحو الغاية.

وفي ثلاث عشرة سنة منذ ورود العراق أحرز تقدماً باهراً في الناحيتين العلمية والاجتماعية. اما في الأولى فقد رفعه فضله منها إلى عداد النخبة من الأعلام والصفوة من المفكرين بشهادة اساتذته وتذكر منهم الأقطاب: كالسيد حيدر الصدر، والشيخ مرتضى آل يس، والشيخ محمد علي الخراساني، والشيخ محمد تقي صادق، ثم الميرزا حسين النائيني، والسيد أبو الحسن الاصفهاني، والشيخ محمد رضا آل يس، والشيخ ضياء العراقي، والعارفون هم الذين يقدرون وزن هذه الأسماء (الرموز) وقيمة شهاداتهم: (الأوسمة).

وتشهد قبل ذلك بفضلته آثاره فله كتابان في أبي طالب شيخ الأبطح وابنه أمير المؤمنين(علي). وله ديوان شعر في مختلف الأغراض وأهمها الاجتماعية وهو فيها جميعاً منظم الفكر واضح العبارة مترف الذوق، صحيح المنهج أبعد شيء عن الفضول والسطحية، هذا عدا المقالات والأبحاث المختلفة، وقد مزق آثاره المخطوطة، ولم يبق إلا المطبوع، وهو (شيخ الأبطح) والمقالات المنشورة في مختلف المجالات، ونقاد شيخ الأبطح يجمعون على وصفه بأنه خير الكتب في موضوعه، وعلى انه من خير ما يكتب في الدراسات التاريخية.

واما في الناحية الاجتماعية فقد رفعته موهبته إلى القمة، ولطالما استشرفه الناس في عليانه، كما يستشرفون النجم، ولعله أول لبناني يهز النجف، وبرج السياسة العربية بمثل موقفه من حوادث البقيع، وموقفه في حادث الحصان: ذلك المفزق المأجور، وغيرها من الأحداث العامة ما بين عامي ٢٨ و ٣٣ م. وإذا قلنا (النجف) هزها، فإنما نرمر إلى عظمة لا تتفق إلا للأقلين من أفذاذ العباقرة فالنجف عاصمة من أضخم عواصم الفكر في الشرق لذلك لا يهزها إلا الأوحدي الأوحدي.

ومما تجدر الإشارة إليه ان قادة الرأي في النجف الأشرف ارتأوا آنذاك تأليف مجلس أعلى يشرف على الأحداث الكبرى، وتنظيم موقف النجف أزاء كل منها بخطة تنسجم وضخامة النجف، إذ كانت ولا تزال وستظل مركز الثقل في العالم الإسلامي باعتبارها موجهة لعشرات الملايين من طبقات الشعوب الشرقية واختير يومئذ عضواً لهذا المجلس، فكان واسطة عقده، وفي المجلس من الزعماء وأقطاب الرأي مثل الشيخ جواد الجواهري، والشيخ عبدالكريم الجزائري، والشيخ كاظم الشيرازي والشيخ عبدالرضا آل الشيخ راضي، والسيد محمد علي بحر العلوم، والسيد محمد الخوالي، والسيد محمد رضا الصافي.

وإن كان لابد من الاستشهاد برأي كبير من مفكري العصر وعباقرته فإن المغفور له الملك فيصل الأول  
والسيد محمد الصدر، ومن ذكرنا من الأعلام كانوا جميعاً شديدي الإعجاب بالفقيد عظيمي الاطمئنان إليه.  
هكذا عهد الناس به قبل عشرين عاماً : قوة في الشخصية وبعداً في الهمة، وفضلاً في الرأي، وجلالة في  
القدر، الأمر الذي دعا والده – حفظ الله مهجته – إلى الاستعداد لاستقدامه ووضع من بلادنا في مقامه،  
ولكنه – يا للفجيعة – كبا به الفرس، وعثر تحت قدمه الدهر، فكانت خسارة أبيه – وأبوه عزاء الأمة عن  
كل فادح – وخسارة البلاد عظيمة فادحة.

كان عالمه عالماً خيراً، طاهراً، مثالياً، سلاحه الصراحة والإيمان والشجاعة، وكان واقع الحياة واقعاً  
شريراً ، دنساً مادياً، سلاحه الخداع والنفاق والدسائس، وكان يريد لعالمه أن ينتصر في هذه المعركة،  
فخر صريعها، وتوارى، في عزلة صوفية شهيد فكرته النبوية، غير انه ظل عشرين عاماً، قبل موت  
جسده، يعاني آلام الجراح في تمرد و عنفوانية وجبروت وظل يكافح ، ظل في مكانه من المعركة.  
هذا هو السيد محمد علي الذي غاب عنا عشرين عاماً، ثم أطل علينا من القبر... سماء القبر، في حياته  
الجديدة، اطلالة ضوء من التاريخ!

لجنة الإحتفال

## رأيتك تقود الجماهير

إذا كانت النفوس كباراً \*\*\* تعبت في مرادها الأجسام

لعلّ أبا الطيب المتنبي أوحى إليه أن سوف يكون لزمان يأتي بعد عشرة قرون مولود يتحدث عنه التاريخ حديثاً لا يشبه بقية الأحاديث في سجل البطولات والرسائل، ويكون في طبيعة هذا المولود سر أعمق من الأسرار ومعنى أدق من معاني الدنيا التي تعرفنا عليها، معنى يعود بنا إلى عهد بعيد في نفوس المصلحين القدامى الذين عذبوا في تطبيق منهج الرسالة، وفي أداء الفريضة الإصلاحية. نفس كبيرة في شباب الفريد ينوء بها جسم أهف هزيل لا يقوى على مقاومة التيار الفكري العنيف، ولا ينهض بتكاليف النفس القاسية.

نفس الشباب في ريعانه ، همة الفتوة في عنفوانها، أفكار تريد أن تستبق الزمن، طموح يريد أن يبلغ الغاية قبل الأوان، إصلاح عام من مصلح أعزل إلا من صلاح نفسه لمجتمع مسلح بجميع أنواع الموبقات والآثام، تريد أن تكون الأفغاني مرة، والشيخ محمد عبده مرة ثانية، وتريد بعد ذلك أن تكون (فيصلاً) يفصل بين الحق والباطل، يغشى بيوت الظالمين، فينكل تنكيلاً ويدمر تدميراً حتى لا يبقى منهم دياراً. تريد دنيا كاملة بما فيها السيف والقلم، ولم تكن تكمل - بعد - لها العدة، ويتهيا لها العديد، فكانت كما اقتضت الأسباب أن تكون ملاكاً معذباً بين السماء والأرض، لا هو في الأرض تخفق له الأعلام ولا هو في السماء تتفتح له أبواب الجنان.

عشرين عاماً قضاها، وهو كلمة الفجيرة تتردد في أذني والده، ساعد الله والده، رأيت شهيداً يحتضر عشرين عاماً بين ذراعي أبيه، رأيت مأساة أشد من هذه المأساة وفجيرة أمر من هذه الفجيرة، رأيت الريحانة قلب أبيه ينوء في دنيا من الأثقال والمآسي أثقال تغل الحديد وتهد الجبال هدأً، رأيت الأخ الشفوق والأقرباء والأصدقاء، يتململون منات من الليالي حيارى في أمر ذلك القضاء الذي ألم فأعيب الصابرين، واستتب فأرهب أعصاب المشفقين، وأبكى حتى العيون التي لا تبكي.

رأيتك (أبا الرؤوف) في النجف الأشرف تقود الجماهير قبالة الخائن (الحصان) مفرق الصفوف، رأيتك وأنت بين الصفوف وثبة الكريم إذا مست له كرامة، وصول الشجاع إذا غمرت له قناة، ومنطق المصلح إذا احتكت الأعواد بالأعواد، وقرعت الحجة بالحجج، ورأيتك مرة ثانية كذلك في النجف الشريف تعيد كرة الأبطال بين الجماهير تنتصر لأنمة البقيع أجدادك.

ورأيتك بعد هذه وتلك الملاك المعذب المعذب الذي تحدثت عنه فكدت ان أشد لولا إيماني بالقادر القهار.

وبالتالي رأيتك الجثمان الصامت تكرر بالالوف من الناس إلى عيرة العبر، إلى حفرة بمقياس طولك وعرضك، بعد ان كنت تكرر بالوف والوف إلى مرايع العز الفسيحة وأهداف الكرامة السامية.

والآن لا أريد ان ارتيك بدمع منهمر وقلب منكسر، وإنما اريد ان أبارك لك في رحلتك، واهنك في بعدك عن دارنا الدنيا، انك تحت رعاية الحاكم العادل، وفي كنف الغفور الكريم، انك بين يدي ولي تسع كل شيء رحمته، واننا في دارنا هذه، عبيد العبيد، وارقاء الأرقاء، نحتكم للإمام الجائر، ونحيا ونموت في ظلال المستبد الأثيم انا نسبح ولكن لا بحمد الله، ونقيم الحدود ولكن على الأبرياء وعندنا نار أعدنا للأحرار، وجنة أعدناها للخائنين والفجار، ولنا قادة نطمعهم حتى الأكباد، ونسقيهم حتى دم الوريد، وما عليهم بعد ذلك ان شعبوا والح علينا الجوع، وان اكتسوا والحف علينا العري، وإن تعلموا وظللنا نتخبط في ظلمات الجهالة، علينا نحن ارقاء الأرقاء ان نأخذ بالركاب، ونحتفل بالمواليد، ونمد عند الحاجة الأعناق، ونحيي ونعيش حتى تبج الحناجر، وليس عليهم جزاء ذلك إلا ان يوصدوا في وجوهنا الأبواب! حتى لا تتدنس اعتاب القصور في أقدام سكان الأكواخ...

وأنت يا سيدي يا باني هذا الصرح الخالد مع الدهر.

أنت يا شيخ الطائفة، ويا مجد الأمجاد، وسيد البلاد، أنت مرجع الأمة إن ادلهم خطب، وعزاء المصاب ان تفاقمت المصيبة، انا في الوقت الذي اعرض شعوري بالكارثة اهنك في نشء كامل وجيل أو شك أن يكتمل على يدك وفي هديك، هذا الصرح يلد لك في كل سنة منات من الأولاد، كل ولد منهم يقول أنا السيد محمد علي شرف الدين، أنا ولدك البار، ولك لدات غير هذه اللدة، لك حياتك الحافلة بالمآثر الخالدة، لك غمر – أطل الله عمرك – الذي وهبته للأمة، وأوقفته على الفضيلة وحل المشاكل والجهاد في سبيل العلم والدين، ولك من وراء ذلك انجالك الفضلاء، وأحفادك الأعزاء، وشباب هذه الأمة الأخيار.

أحمد مغنية

## مع السيد محمد علي شرف الدين

حطم جناحاه جناحيه...

هل رأيت الأرض؟

هل رأيت الأرض زحزحت بخصبها، وأنت قبل أوانها أكلها، فذهل إذ جاءها الربيع، وقد عرمت أهواؤها،  
واقفرت ببادرها وتناثر فوقها مع الهشيم، والزوان!

أرأيت القصر وقد دالت دولته، وعفى ملكه، وانحسرت أضواؤه لا يزال بعد زلزاله قائماً، في كل شامخ من  
أعمدته كبرياء – على هو الزمان – وفي كل لفتة من روائعه روعة – على جور الحدثان – وفي كل  
زاوية من حناياه ذكرى وطنين وفراغ!

هلا رأيت جباد الطراد؟ جواد يقطع شوطه ثم يلهث في آخر الطريق ويستريح في الفيء، وجواد يلتهم  
الميدان التهاماً ولا يزداد إلا جذوة ووثوباً، فيتخطى الحلبة المعبدة، ويطيح فوق الأسوار الحاجزة، ويقفز  
إلى المسالك الوعرة، ويخبط في مفاوز الجبل يروّع خيل الوحش ويجلجل أصداء الوادي، حتى إذا تأكلته  
نشوة الجموح، وتعتعه هذيان القوة، تهافت على قوائمه، دمه المحموم ينساب بين الشوك والصخر،  
وصهيله الظافر لا يزال في الحلبة يدوي!

هل رأيت النسر؟

هل رأيت النسر يخلق ويسف! يسدد في تحليقه كبد السماء فيهوي مبهوراً وقد حرقت الشمس عينيه،  
يتعثر بالهواء ويترنح في الأجواء، يحطم جناحاه جناحيه، فهو في انطلاقه اشعاع، وهو في تخبطه  
اعصار، وهو في عماه روعة، وهو في مهواه مهيب جبار!

هل رأيت من آيات أهل الكهف عجباً! يميتهم ربك وهم أحياء. يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، ضرب  
على آذانهم وربط على قلوبهم فهم صم ذاهلون، تحسبهم أيقاظاً وهم رقود!  
ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل، ولو شاء لجعله ساكناً، ثم ألم تر كيف يقبضه إليه قبضاً يسيراً.  
ألم تر الدنيا تقبل وتولّي، والإنسان يقسو عليه القضاء، ويوغل فيه القدر، يكتسي ويعرى، يسمو ويهون،  
يبصر ويتيه، يهدي ثم يرد فلا يعلم بعد علم شيئاً!

إذا رأيت ذلك فقد رأيت عظمة السماء، وذل الأرض، ورأيت جيروت الله وهو الإنسان، وبخعت بهدي  
الدين ورضخت لعظة الدنيا.

سبحانك ربي! هل قضاؤك وقدرك الا قسط وتديبر، وهل منعك وعطاؤك إلا عبر وحكمة، وهل وعدك  
ووعيدك إلا رحمة ونذير.

سبحانك ربي تعزّ وتذل وتمنع، تحيي وتميت ثم تحيي.



غفرانك ربي نضل فتهدى، ونخطى فتغفر، غفرانك أنت الأزلي الصفات الرحمن الرحيم تقيم حداً لانتقامك  
ولا تقسيم لرحمتك حداً.

رحماك ربي بيدك أعنة الزمان، ومنافذ الحكمة وستائر النور، لرحمتك تدفق، ولتدبيرك ميزان، أنت المقدر  
فلا تسأل، وأنت المستوعب فلا تخطى وأنت الكريم في المنع والعطاء.

صور ٦ أيار ١٩٥٣

الدكتور شكر الله حداد

## الحرف لك، لمن بحكمك..

غمست ريشتي في مجدك، قبل أن أغمسها في لحدك، وغمستها في ألمك، قبل أن أغمسها في رمسك.  
وكانت تنتفض في كل غمسة، بعصيرك الذي تفردت به عن النظراء، وكانت ترسم كل مرة، لونك الذي  
يميزك على الأكفاء..

وها هي لا تزال تدرج على هذا البياض، غميسة بدمانك، محمومة بدائك، متمردة بكبريانك، تلك الدماء  
التي استنزفتها تعلقة طرد هذا الداء الذي صرعتك، حاشى الكبرياء.

ها هي الريشة، لا تزال تدرج، ولن تقف، حتى يجف الحبر وهيهات: انه غزير، يعب من صدرك، حار،  
يصطلى بجمرك.. لن تقف، إنها جبارة كالعهد بك: لا تلتوي حتى تُلوى، ولا تنهزم، وان اثخن حتى  
تُصرع.

الحرف لك، لمن بحكمك، من كل مجاهد صابر لك، لكل متعهد رسالة، حافظ أمانة.

الحرف خادم لمن خدمه واستخدمه، مخلد لمن كتبه واستكتبه بصور، ولا يزور شأن العدسة اللاقطة،  
تخطف المشهد ثم تعكسه.

أقول الحرف (الرجل) ما أخذ وما أعطى، ما بنى وما هدم.. الحرف: الصورة الباقية للإنسان بين الناس  
النسخة الثانية للروح في الدنيا.

والتاريخ حروف تضج بالألحان، يمد صوته، مدّ المعاني التي تحملها حروفه، زنة التراث الذي يخلفه  
واضع الروح، في جسم الحروف.

وأنت أبا رؤوف، واحد ممن أمّلوا الحروف، وأوقروها بالحسن، ثيبات وأبكارا.

صباك وفتوتك، غنيان بالتوثب المتمرد، شبابك وكهولتك ثريان بالتمرد الوائب.

كنت رجلاً في صباحك، محطماً رقم الفتوات، حين أصبحت فتى في الفتیان، ثم حملت في شبابك، طاقة  
قنبلة، تجمعت ذراتها في أعماق نفسك الطماعة، وحسك المرهف، وفكرك الجوال، فتمردت على الأفق  
أمام نظرك البعيد.. البعيد، تريد لتنفذ إلى ما وراءه، لتعود إلى قومك بعضى تلقف ما يأفكون باكسير  
يطهرهم، من الرجس الذي بحماته يتمرغون، بمبضع سحري يأكل الأدران، ويفتح الأذهان، يكشط الرين  
عن البصائر، والغشاوة عن العيون.

رفعت صوتك يجلجل في التانهين، وأرسلته يرن في آذان النانمين، فما اهتدى ضال، ولا انتبه راقد، بلى:  
بح صوتك وانقلب النداء بكاء.

ونزل فكرك إلى الساحة، يستوقف القاعدين، ويستمشي الواقفين، ويسترخص الماشين، فما وقف قاعد،  
ولا مشى واقف، ولا ركض ماش، بل ركضت وحدك إلى المجهول.

وهكذا ارتد طرفك الذي حاول تحطيم الأفق، وعاد حسيراً وخفت صوتك الداوي، ليعود ضحكاً كالبعاء،  
وصرع فكرك شهيد المعركة، ثم انتقلت إلى واد آخر، من الحياة الدنيا، بصوت أبح، تنظف جراحه،  
فتنطقه بما يقال، وبما لا يقال، وبصر شارد، يرى ما نراه، وما لا نراه، وفكر جامح، تخونك صورته،  
فتلقى ونلقى من ذلك نصباً.

عشرين عاماً تمردت على المجهول، الذي حار بمعرفته العارفون، وهو – يا لجهل الإنسان – بين جنبيك،  
يسري في عروقتك، ويتمتم بشفتيك، يجشم على كاهلك، وينظر بعينيك، وربما انسلخ عنك، فرأيته  
بباصرتيك، وسمعته بأذنيك، وحدثته بكفيك، بينما وقف العلم حائراً، ينفذ راحته بين يديك، ووقفنا نحن  
نتلظى حيارى نبكي عليك.

أما أنت، فما هادنت، ولا استسلمت، بل كنت جباراً، يصارع جباراً، متمرداً على الداء، على عالمه  
السراب، كما كنت متمرداً على الصحة، على عالمها العجائب، وكما سقطت أولاً في ساحة النضال، من أجل  
الحق والخير، سقطت ثانية في سبيل الانعتاق، من دائك العياء.

فجمعت بأمالك صحيحاً، فمرضت، وتمردت على آلامك مريضاً فدققت باب الموت حتى انفتح، ترى هل مت  
أم نحن الميتون؟!

نحن - أهل الدنيا - كعهديك بنا أبا رؤوف، نتكالب على الجثث ف يتخم الشبعان، ويحرم الغرثان، كاذبنا  
داهية، يسخر من صادقنا الأبله، شريرنا شجاع، يفتك بمسالمتنا الساذج.

والسماء كعهديك بها: تمطر، فيدرك غيبتها الإنسان، أينما كان، لا يجابي ولا يفضل.

والشمس ترسل نورها، للقصر والكوخ، للقمة والسفح، والهواء يدخل رئة كل إنسان، كل حي..  
أما المتمتعون بخيرات الله هذه، العالمون بأنها مشاع، فيود من تخلق عن إنسانيته منهم لو يقطع الماء  
والشمس والهواء ، كما اقتطع الإنسان، والحيوان، والأرض، والآلة، مع أنّ الإنسان العامل، شريك  
طبيعي لأولئك المقتطعين، الماء والشمس والهواء، كما انه شريكهم الطبيعي، في كل ما يتميزون به عن  
غيرهم، من أسلاب هذه الدنيا.

وليس ببعيد ذلك اليوم الذي يدرك فيه كل عبد مستعبد لإنسان، أو حيوان، أو أرض، أو آلة، ان الإنسان  
شريك الإنسان واخوه، لا يخونه، ولا يسلمه ولا يسخره، ولا يستأثر عليه.

ليس ببعيد ذلك اليوم الذي تفيء به إلى الله، إلى إنسانيتنا على ضوء الشريعة السهلة السمحاء، إلى  
إنسانيتنا التائهة، في مجاهل الفردية والاحتكار، إلى القاعدة الصحيحة الخالدة المدوية : لا فضل لعربي  
على عجمي إلا بالتقوى، لا ميزة لإنسان على إنسان إلا بالعمل.

هذا هو حلمك – أبا رؤوف – الذي كبا جوادك في ميدانه، وها هو الميدان مليء بالشهداء والصرعى،  
بالجرحي والمحاربين من كل ثائر على الظلم والظالمين وها هم الجلادون وزبائيتهم وسماسرتهم يعدون  
عدة الهزيمة أمام الملايين الزاحفة تلهث جوعاً وتعباً.

هو ذا حلمك أبا رؤوف الذي كاد أن يصبح حقيقة، وإن لك فضل المجاهدين في ميدانه، نضر الله ضريحك.  
أما أنت يا سيدي فقد خجل الدهر، أمام صبرك الصابر، أنه يكيد لك، فتبسم له، يضع الحواجز في طريقك  
فتجتازها برضى واطمئنان، يمنحك بالمال، فيراك به زاهداً، وعنه راغباً، يفجعك بالولد فتحتسبه عند الله،  
وإنه – والله – لأقسى امتحان لمن يحمل قلبك بين جنبيه، ويرفع عباك على منكبيه.

دم لنا يا سيدي، سفينة النجاة، وباب حطة، فأنت – حفظ الله مهجتك – الرmq الذي به نواصل الأنفاس،  
وأنت – مد الله ظلك – ذماء الصبر للصابرين، ورصيد الأمل للمحتسبين.

جعفر شرف الدين

## تاريخ وفاة الفقيد

عزيز على الإسلام فقد (محمد\*\*\*علي)فقيد العلم والخلق الندي

مثالا طوته ناشراً شرع جده\*\*\* يد الحتف سبأفاً بفضل وسودد

وعضبا رهيفا أصقلته يد الهدى \*\*\* ليحمي الهدى من كل باغ وملحد  
قضى ويد المعروف والخير تشتكي \*\*\* له غلها والشر منطلق اليد  
قد اغتالته المقدار في الزمن الذي \*\*\*بدا فيه فذا مصلحاً كل مفسد  
طموحاً إلى العليا بهمة أغلب \*\*\* يرى عز دين الله أنبل مقصد  
لنن صدع التفكير منه دماغه \*\*\*فقد ضاق عن بحر من العلم مزبد  
أعزي إمام الدين والشرف الذي \*\*\* يشاطره قلبي فمي مقلتي يدي  
بشيراً بدا في الخلد تاريخه له \*\*\* علياً لقد أضى مقام محمد

٩٢ ١٨١ ٨١٩ ١٣ ١١١ ٣٥

سنة ١٣٧٢ هـ

## وفجر العمر كان هو .. العصر

هو الرشد رب الرشد مونة الصبر \*\*\* فما هاله خطب به ذعر الذعر  
وماذا على (رضوى) إذا هبت الصبا؟ \*\*\* وفي ظل رضوى للهدى زفر الوفر  
عزاءً فانت اليوم مرتب المنى \*\*\* ونخر الأولى جافاهم الدهر والذخر  
وبقياً على نفس لدهيات طامنت \*\*\* رقاب المعالي والزمان بها نضر  
لنن قطفنت من زهر روضك زهرة \*\*\* فففيه زهور دونها الأنجم الزهر  
وان لاع منك القلب اطفاء كوكب \*\*\* بأفق فكل من كواكبه بدر  
وان ذهب الحتف المغير بفلذة \*\*\* إلى نزل أرجاؤها الخير والبر  
فلا تذهبن في حلمكم حرفة النوى \*\*\* ولا يطوين الحلم من جزع نشر  
هو المرء لم يخلق لعيش مؤبداً \*\*\* بدار شقاء تاه في بيدها الفكر  
فكل حسام بعد طول قراعه \*\*\* سيغمد والآمال ليس لها أمر  
تود الأمانى لو مشت بركابها \*\*\* طلائع أحلام يحققها فجر  
تود ولكن لم تبدل حقيقة \*\*\* بليت ولا عن سيره وقف الدهر  
ولا حولت مجرى الحياة رغائب \*\*\* إليها انتهى في أمره البر والبحر

ويا ظاعناً في موكب من عواطف\*\*\*تحوم على نعش أكاليله الذكر  
كأنك فيه قلب كل مشيع\*\*\*يودعه وهو الأضالع والصدر  
أجل هو أعواد ولكن قد انطوت\*\*\*على مهج لم يحك لاجعها الجمر  
ويا كوكباً ما دار من حول شمسه\*\*\*لأمر وفجر العمر كان هو العصر  
ويا خير زهر ضمخ الأفق عرفه\*\*\*بنفحة طيب وهو في فجره العمر  
تركت وقد صوحت كل حشاشة\*\*\*من الآل والأصحاب يصهرها حر  
سلوا البلد النائي سلوا عن عبيره\*\*\*فقد طالب منه أهل وازدهى قفر  
تأرج منه عرفه في شعابه\*\*\*فيا طيب عرف ما حكى عطره عطر  
فأونة قد كان في رقة الصبا\*\*\*تمر بأوراد يدغدغها قطر  
وأونة يحكي أعاصير قفرة\*\*\*تضل بها غير السراجين والعفر  
وأنا كرفاف السنا فوق جدول\*\*\*بأرحب سهل كل أرجائه خضر  
وأنا كرعدي دياج مجلج\*\*\*إذا ما ادلهم الخطب والتبس الأمر  
وقد كان يحكي السلسبيل عذوبة\*\*\*وكالغمر عمقاً بل يرى دونه الغمر  
هو الأفق الزاهي بأبهى مفاتن\*\*\*وأزهى أديم فوقه يفتح البشر  
نتيه لياليه بأبهى غلالة\*\*\*من النور والساعات من عمره عمر  
هو البغنة النكراء والليل مطبق\*\*\*بيداء والأيام ينقلها الوزر  
يصارع مزور الليالي بعزيمة\*\*\*تطامن ان ترهف لها البيض والسمر  
لقد كنت في ذهن الحياة كغامض\*\*\*من السر لا يغشيه همس ولا جهر  
وقد صاعك الرحمن من خير معدن\*\*\*فلا عسره يسر ولا يسره عسر  
وقد كنت أزهى من فتاة شمانلا\*\*\*وافتك من طرف به كمن السحر  
وقد كنت فرداً في خلال حميدة\*\*\*وكيف يبارى من هو الشفع والوتر  
سقى جدتاً فيه حللت من الرضا\*\*\*عزال غواد فهو فيحاء لا قبر

ابن البادية

خطوة تطأ النجم

فرخ نسر يطير في الأجواء\*\*\*من رآه يرود عبر السماء  
باحثاً في الفضاء في الافق الممدود\*\*\*عن لا نهاية في الفضاء؟  
يتنحى كي يشحذ المنسر القاطع\*\*\*في عزلة الوحيد الناني  
يتمطى مروضاً لخوافيه\*\*\*بعيداً عن ملتقى الأصداء  
يرقب الأرض تحته كوكبا يسبح\*\*\*في زحمة من الضوضاء  
ثم يرتد كي يلتقه النسر\*\*\*صنوفاً من همة ومضاء  
ودروساً عن الطموح إلى المجد\*\*\*وعن نيل رغبة عصماء  
وإباء عن الدنيا، عن الأسفاف\*\*\*بل عن قناعة الأغبياء!  
فإذا الفرخ وهو نسر فتى\*\*\*يهجر الوكر ضاربا في الجواء  
يركب الريح جانحاً يحمل الطود\*\*\*ويهزا من هادر الأنواء  
كبر الفرخ واستوى جانحاه\*\*\*وأعانه فارتقى في الهواء  
يقطع الافق خطوة تطأ النجم\*\*\*وقلباً يفيض بالاشتهاء!  
ومضى كي يعلّ والنجم الأشرف\*\*\*مهوى العلوم والعلماء  
ذاك مثوى الإمام اشعاعة النور\*\*\*على كل كوكب وضاء  
يرد الظامنون منهله العذب\*\*\*ويروون من نمير الماء  
فهوى يطفئ اللظى يرشف العلم\*\*\*لدى خير سادة أصفياء  
وابتدا زقة تضاف لأخرى\*\*\*وبأحشانه أوام الظماء  
تلك حال العطشان إن وجد الواحة\*\*\*بعد الاعياء في الصحراء  
فاستتمت قواه بل غمر النفس\*\*\*طموح ينذ للجوزاء  
مورد خير وقلب كبير\*\*\*جمعا يا لقوة في البناء!  
صار نسرأ يرى على كرة الأرض\*\*\*وفي العمق في همود الفضاء  
ملعباً للخيال للعقل للقوة\*\*\*للعزم للحجى للمضاء!!!  
دفعته أحلامه للمهاوي\*\*\*حاملاً بند ثورة حمراء  
إذا رأى في (البقيع) معول غشم\*\*\*ثائراً للرفات والاشلاء  
هادماً للقبور تلك قبور\*\*\*جمعت خير عترة الأنبياء!

فعلا صوته ودوى وهل يثار\*\*\* غير الاكفاء للاكفاء؟  
فإذا الرافدان موجة زعر\*\*\*تتحدى شقاوة الأشقياء  
وإذا بالعراق يزأر كالليث\*\*\*يؤاذى في حالة استسراء!  
وإذا النسر وهو يستبق العمر\*\*\*مهيض من صرخة نكراء!  
من رأى النسر بعد ان عبد الجوّ\*\*\*طريقاً؟! يخر للاعياء  
واهي العزم طائش اللحم مكبوتاً\*\*\*نبت فيه لهفة للدماء؟  
ناء بالحمل ثم مال طرباً\*\*\*والتوى غصن بانه هيفاء  
وثوى كالحببيس دون قيود\*\*\*يا لفتك الأيم في البراء!  
وانطوى حسرة يترجمها الوجد\*\*\*كترجيع ثاكل ورقاء  
حانقا يظهر التشوف في عينيه\*\*\*من عزة ومن كبرياء  
يانسا مرهقاً ووكر أبيه\*\*\*خير مهد يؤويه في البرحاء  
ذاك حجر رحب حصين لدى الجلى\*\*\*يقويه من غائل اللأواء  
لم يزل فيه يمضغ العيش مرأ\*\*\*من تمنى الصعود للعلياء  
وذووه معذبون حوالية\*\*\*يحارون في شفاء الداء!!!  
كل جرح يبيرا بذر العقاقير\*\*\*وتشفيه جرعة من دواء  
غير جرح يضعض المصدر الفعال\*\*\*في نفس سيد بناء  
إيه سهم الحمام أي جريح\*\*\*قد تخطيت مسلماً للنفاء؟!  
عيشه كان مفعماً بالماسي\*\*\*وبالأم جرحه والبلاء؟  
يجرع الصبوة المريرة للمجد\*\*\*فيضوي كشمعة في الضياء  
ويُقاسي همم آماله البيض\*\*\*وقد صار جلها كالهباء  
حيث يأوي لهيكل اليأس\*\*\*مشدوداً إليه في غمة البؤساء  
نسر يا نسر قد تركت تراثاً\*\*\*معنوياً مبلوراً للنقاء  
حيث خلّدت ليث مكة (شيخ\*\*\*الأبطح) المستخف بالأعداء  
هو سفر للفكر فيه وميض\*\*\*يتحلّى مدونا للرائي  
أثر صارخ يدوم إذا ما مت\*\*\*في الدهر صبحه والمساء

فعرء يا آفة الله\*\*\*من مئك ببقف للناس آفر عراء  
علم العالمفن فدرعوا بالصبر\*\*\*ان زار طارق الغماء  
أنف أرسف الجبال فف زحمة الاعصار\*\*\*أقوى من قمة شماء  
صدرك الرحب وهو يعمره الدين\*\*\*منفع وعامر بالرجاء  
ذاك شأن العظفم كل مصاب\*\*\*ففءاعف بفانب العظماء

فف ٢١ شعبان سنة ١٣٧٢

الموافق ١٩٥٣/٥/٦

كامل سلفمان

### فا صرفع الفكر

حطم القبر إذا ما روعف\*\*\*وحدفة العرب فف المغفصب  
وابعث الصفحة ففجاز بها\*\*\*رهبة الموت وبعد الحقب  
قد عهدناك وبغداد لظف\*\*\*فورة فف وفه جيش لجب  
ومثالاً جل من مفزه\*\*\*فسنا العلم وطفب النسب  
هالة صفغت من النور ومن\*\*\*روعة الدين وصفو الأدب  
وانبرف فف عالم مضطرب\*\*\*ضاع فف ففكفره المضطرب  
ففحدف ظلمة الفأس وفف\*\*\*حلك الفأس وهول الكرب  
بعفث آمالها ساخرة\*\*\*من لظف الكفر وخزف الكذب  
هكذا اقبلف عزماً جامحاً\*\*\*وشباباً عبقرف المطلب  
ومضف أبصارنا لاهفة\*\*\*فف انظار فائر مرقفب  
وعلى مرمف من النور ومن\*\*\*عظم الفافة والمكفصب  
فرتمف النسرف وقد أودف به\*\*\*روعة الشوط وبعد الشهب  
فاحدبف فا ظلمة القبر على\*\*\*ضففك الصابر والمغفرب  
فا صرفع الفكر قد عشف على\*\*\*روعة العلم وذخر الكفب  
ولقد فغرق شهد نحلة\*\*\*صنعه فف نقاء الذهب  
أفها الرافل والكون دجف\*\*\*نحو فارفخ بعفد الحقب



حدث الجد عن الجيل الذي\*\*\*ضاع في حاضرة الملتهب  
ومضى في نزوات مرة\*\*\*ساجداً للغادر المغتصب  
حرك الأجداد قد عودتنا\*\*\*رائع الشعر وحلو الخطب  
وأثر في موطن القدس دمي\*\*\*بحثت عن مجدها في الشهب  
حضنت مجد تواريخ مضت\*\*\*وبقيا أعصر من ذهب  
يا دمءاً رقدت هائلة\*\*\*في رواب حانبات نجب  
حركي أرض فلسطين ابعتي\*\*\*من مغاني أمسك الملتهب  
صرخة الحق إلى جيل غدا\*\*\*شارد الفكر شتيت المذهب  
وغد قد يحمل العزم إلى\*\*\*نازح عن داره مكتب  
هذه الكسرة إذ يمنحها\*\*\*صنعت من دمه المنسكب  
أيها الراحل ها نحن كما\*\*\*قد عهدت الأمس لم نستجب  
لنداء صغته مستهدفاً\*\*\*صولة الظالم والمكتسب  
تحمل البغي وتمضي صكه\*\*\*بيد الاثم وسيف الشغب  
يا يداً تصنع من حق لها\*\*\*جذوة البؤس وحر اللهب  
لا تتثني في غد من ألم\*\*\*لا تضيق بسبول النوب  
أنت وجهت إلى الصدر الذي\*\*\*خر منهوكاً صريع التعب  
مدية تلمع في أطرافها\*\*\*جذوة الموت ولون العطب  
أيها الثائر هذا موعد\*\*\*سانع المورد عذب المشرب  
فاقتحم أدغاله في همة\*\*\*وابتدع آماله في مكسب  
وابن للتاريخ للخصم معاً\*\*\*آية من ثورة من لهب  
تحرق الحد الذي أنشأه\*\*\*في ربي المجد وأرض العرب

حسن علي الزين

٦ أيار ١٩٥٣

\*\*\*